محمد خفوسي

الخُرُوج مِن عُنُق الزُّجَاجَة

أوكسجينكَ الحقيقي خارج الزجاجة!



الطبعة الثالثة

دار ومضة للنشر والتوزيع

الخروج مِن عُنق الزُّجاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: الخروج مِن عنق الزجاجة
تأليف: محمد خمفوسي
المدير العام: سميرة قنون
تنسيق وتصفيف الصفحات: محمد خمفوسي
الطبعة: الثالثة



جميع الحقوق محفوظة ©

ISBN:978 _ 9931 _ 719 _ 01 _ 2
الإيداع القانوني: أفريل 2020

للتواصل مع الدار:
dar.wamda7@gmail.com
06,65,02,34,05

إهداء

إلى الذين يُؤمنون بطاقة الكلمة:

لا تتركوا عُنق الزجاجة يَحولُ دون خروجكم منها؛

فأُوكْسُجِينُكُم الحقيقي خارج الزجاجة!



|| محاولة دخول في قلب الموضوع

هناك أناسٌ وما أكثرهم لا يعيشون داخل الزّجاجة ولا خارجها، وإنَّما يعيشون في عُنقها، ولا شكَّ أنَّ أضيق مكان في الزُّجاجة عُنقها، فهم في ضيقٍ دائمًا.

لذلك ارتأيتُ مِن هذه النُّصوص أن تكون حلولًا **«للخروج من عُنق الزُّجاجة»**، ولا أزعم أنَّ هذا الكتاب خليقٌ به أن يكون في كلِّ بيتٍ، أو على كلِّ مُثقَّفٍ أن يقتنيه، كلَّا، بلْ إنِّي لَمُعترفٌ أنَّ بعض الكلمات لا تنطبق على الجميع لكن على الجميع الاعتبار بها.

قدْ تقولُ عن كلامٍ ما إنَّه لا يَشفي الغَليل، وربَّما ما قلتَ ذلك إلَّا لقُصور في فهمكَ، ومعلوم بداهةً أنَّ الفهمَ القاصر يُخَلِّفُ القراءة المشطورة الَّتي لا تُعطِي حقَّها:

وكم مِن عائبٍ قولًا صحيحًا وآفتهُ من الفهمِ السَّقيمِ[1]

الكثيرُ منَ الأفكار الَّتي كانت تَجولُ في ذهني، لمْ أكن أَتوقَّع للحظةٍ أن تكون كتابًا تراه العين وتلمسهُ اليد، ولكن مع شَيءٍ مِن الإصرار صار الحُلم حقيقةً.

كتابي هذا لأهلِ الإيمان، المُلتزمين مع الله تعالى بِعَقدٍ فَحواهُ {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} «البقرة: 285».

---

1)_ أبو الطيّب المتنبي.

أردتهُ كتابًا بنَمَطيَّةٍ مُغايرةٍ، ذلك أنَّ النفس تَعَافُ التَّقليد، وتميل للجديد.

والله أسْأل أن يُوفِّقني إلى التَّوفيق دُونَ نَقْصٍ أو تَزَيُّد، وأن أجد بين القُرَّاء آذانًا صاغيَة وقُلوبًا واعيَة، وأن يرزُقني الله قُرَّاءً يُحسنونَ الفهم؛ لأن القارئَ الفَاهم هو رأسُ مالِ الكاتب.

والله أسأل أن يُكتبَ لهذا الكتاب القَبول في القلوب، وأن يكون فَاتِحةَ خيرٍ لِمزيدٍ مِنَ الخير، يومَ أُدرجُ في أَكفانِي، فإن كنتُ أصبتُ فالخير أردتُ، وإن تكن الأخرى ففي نَقَدَاتِ القُرَّاء ما يُقيم كل عَوَجٍ، ويُصلح كل مَنَادٍ {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} «يوسف: 76».

فاللَّهمَّ إن كنتَ تراني على صوابٍ فَأدِمني عَليه، وإن كنتَ تراني على خطأٍ فقوِّمنِي لأجْتازهُ.

وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمدًّا، وعلى آلِ بيته، وصحْبِه، والتابعين، ومَن تبِعَهُم مِن بعدهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.



01||_ امرأة غيرُ قابلة للانكسار

لا يُمكنكِ منعُ الرِّياح من الهبوب عليكِ
لذلكِ كوني غصنًا لِيِّنًا لئلَّا تُكسرين!

✓ واجهَتْ مريم بنت عمران تُهمةً شنيعةً وموقفًا صعبًا، ومع ذلكَ قال الله تعالى لها: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} «مريم: 26».

عِيشي حياتكِ واسْعدي، فهناك أشياءٌ حلُّها عند الله تعالى، فلا تُرهقي نفسكِ بالتفكير، والله عنده حُسنُ التدبير.

❁❁❁

✓ لا تُصدِّقي مَن يمدحُكِ، فقد غنَّت أم كلثوم لأحمد شوقي:

أَغَرُّوها بقولهم حسناءُ والغَواني يغرهنَّ الثناءُ

ولم تُدرك هذه المُغنِّية أنها مَعنيةٌ بما قاله شوقي، فمنَ المُحال أن يقولَ شوقي ولا يعني!

الخلاصة: لا تُصدِّقي رجلًا يمدحكِ بلا سبب أو غاية!

❁❁❁

✓ تظهر عظمة الحب عندما يُتَوَّجُ بالزواج، أمَّا تلك القصص الَّتي لا تصنع عائلةً، فهي قصص وهميَّة كخطوط الطُّول ودوائر العَرض.

❁❁❁

✓ لمَّا عرف ذلك الجبَّار شِدَّة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وقد كان يُريد بها سُوءًا، أَخْدَمها هاجر اعترافًا بفضلها وخوفًا منها! حينما يجدُ الرجل عزَّةً في المرأة، فإنَّه لا يهابها فحسب، وإنَّما يَخْدِمُها خدمةً ما خَطَرَتْ على بالها قط.

لذلكَ قبل أن تطلبي من الله أن يصرف عنكِ رجل السُّوء، حاولي ألَّا تكوني سيِّئةً مع الله تعالى.



02||_ قلبي لا يُمطر تضحيةً

اسقني.. أُغدقكَ بالثِّمار
لكن لا تنتظر منِّي ظلًّا يقيكَ حرَّ الشمس
وأنتَ تحمل لي الفأس
فقلبي لا يُمطر تضحيةً!

عندمَا يتعلَّقُ الأمرُ بكَ، ويرحلُ عنكَ من كنتَ تحيَا بقربهم، لُمْ نفسكَ واتَّهمها على أنَّها سببُ القَطيعة، فإنَّ لومَ الذَّات سببٌ في إصلاحهَا، على خلافِ لومِ الآخرينَ فإنَّ ذلك مَدعاةٌ إلى تبرئةِ الذَّاتِ وإلصاقِ التُّهم بهم لا محالة.

ولقدْ عبَّر أحدهُم عن هذَا المعنى فقالَ: «عندما تراني أرحلُ بسببٍ تافه، تأكَّد أنَّني قد تغاضيتُ عن ألف سببٍ عظيم».

كمْ مِن شخصٍ رحلَ عنكَ بسببكَ، وأنتَ لا تزالُ تعتقدُ أنَّهُ قدْ خانَ وصلكَ؛ لذلكَ قبل أن تتَّهم أحدًا بالتَّقصير معكَ، يجب أن تتأكَّد أنَّكَ لمْ تكن سببًا في هذا التَّقصير، فعادةً لا يُقصِّر الآخرون في حقِّنا إلَّا بعد سُوءٍ نجمَ منَّا: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} «الشورى: 30».

يا صديق!

إِذا أردتني أن أكون لكَ وحدكَ، فلَا تجْعلني أحتاجُ لغيركَ.

لَا تُهملني لئلَّا أبحث عن البديل.

تفقَّد نفسكَ قبل أن تفقدني.

لَا تُحوِّجني لئلَّا أُقصِّر في حقِّكَ.

كن معي لأكونَ لكَ، كن لي لأكون معكَ.

لكن لا تكن لي ماءً مالحًا ثمَّ تطلب من أغصاني أن تأتيكَ بالثِّمار الحُلوة، فإنَّ قلبي لا يُمطر تضحيةً.



03 || _ افهمني.. قبل أن تختنق علاقتنا!

«البيوت الناجحة ليست كذلك لأنَّها قائمة على التَّشابه ولكنَّها ناجحة لأنَّها قائمة على التَّفاهم».

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإنسان سيعاني كثيرًا حينما يرتبط بشخص ما، دون أن يتساءل في دخيلة نفسه: هل هذا الشخص الذي يودُّ الارتباط به قادر على تفهُّمه والتعايش معه أم لا؟!

إنه سؤال ضروريٌّ جدًّا!

فمنح فرصة التعارف قبل الاعتراف أشبه بحزام الأمان؛ لأن جلَّ الذين كُلِّلتْ علاقاتهم بالنجاح عادة ما يدرسون الطرف الآخر، ويُغربلونه غربلة تُبين لهم الطريق فيما إذا كان يستأهل التعايش معه، أم يستحيل ذلك؛ إذْ ينبغي قبل تكوين علاقة عاطفيَّة النظر في المؤهِّلات العقليَّة، فإنَّ معايشة ناقصي العقل منقصة للعقل، ومَنغَصَةٌ للحياة:

لا تطلبنَّ محبةً من جاهلٍ المرءُ ليسَ يُحَبُّ حتَّى يُفهمَا[2]

التفهُّم بين الطرفين أهمُّ من مشروع الارتباط؛ لأنَّه هو من يحدِّد مصير هذا الارتباط مستقبلًا؛ لذلكَ لا ترتبط بشخص ليس بينكَ وبينه نقاطٌ مشتركة، أو خطوطٌ متقاطعة، فإذا ركبتَ رأسكَ وفعلتَ ذلك،

2)_ إيليا أبو ماضي.

جلبتَ لنفسكَ تعبًا أنتَ في غنًى عنه، حتَّى لو كان من ارتبطتَ به أحبَّ من نفسكَ الَّتي بين جنبيكَ.

نحن البشر نحتاج لمن يفهمنا أكثر حاجة لمن يُحبُّنا، ولا يعني ذلك أنَّ الفهم أعلى قيمة من الحب، ولا أنَّ الحبَّ أخفضُ من الفهم، ولكن لأنَّنا في زمن ما عادت العاطفة وحدها تكفي لبناء علاقات ناجحة.

ومن هنا عليكَ أن ترتبط بشخص يفهم معانيكَ الكثيرة بقليل من العبارات.

شخصًا يسمعُ صمتكَ كما لو أنه صوت خرجَ من حُنجرتكَ، فيأتيكَ بما تريد قبل أن تنطقَ ببنتِ شَفَة.

عندما تفهم الآخر فأنتَ تقتربُ منه، وتُقرِّبه منكَ، أنتَ تنزع الحشائش الضارَّة في حديقة علاقتكَ به، أنتَ تكسبُ قلبه، فلا وسيلةَ أسهلَ لكسب القلوب، مثل تفهُّم أصحابهَا.. وكل هذا راجع لفهمكَ أنَّ الحياة لا تساوي شيئًا ما لمْ تكن مَبنية على جسرٍ من التفاهم.

الفهم مرتبة عُليا ينبغي لكَ أن تجتهد لبلوغها؛ إذْ به تنجو من الغرور الذي يقودكَ إلى بخس الناس في أشيائهم، فوحده المَغرور من يَحسب أنّ ظروفه تبرِّرُ له هَضم حقوق غيره، ناسيًا أن الظروف إنمَا وُجدت لنتغلبَ عليهَا، لا لتتغلبَ علينَا.

وإن كان فقدُ الفهم يوقع الإنسان في الغرور، فإنَّ الكِبْرَ يمنعُ من بلوغهِ، قرأتُ مرَّة تفسيرًا رائعًا للإمام سفيان بن عُيينة في قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغير الْحَقِّ} «الأعراف: 146»؛ إذْ قال: «سأنزع عن قلوبهم فَهْمَ القرآن».

فتأمَّل كيفَ ربط بين الكِبْر وعدم الفهم!

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ الكِبْر مانع للفهم، وبالتالي لا ينبغي لمن أراد فهم الطرف الآخر أن يتكبَّر عليه، ففي لغة التفاهم لا يوجد مصطلح اسمه الكبرياء.

ستلتقي بأناس لا يشبهونكَ في شيء، بل ربَّما يختلفون معكَ في كلِّ شيء، لكن رغم هذا فأنتَ مطالب بتفهُّمهم وإن اختلفوا معكَ، مطالبٌ بتفهُّمهم وإن لم يفهموا عنكَ؛ إذْ ليس المهم أن تُقنعَ الآخرين برأيك، وإنّما المهم أن يكون رأيك صوابًا وإن لمْ يقتنعوا به.

ومطالبٌ أيضًا بالتحدُّث معهم على قدر عقولهم؛ فإنه لا أعظم من شخصٍ يفهم غيرهُ، رغم فوارق السن والمُستوى والتوجُّه!

ومطالبٌ ألَّا تُعاملهم معاملة مشابهة، فليس كل النّاس شخصية واحدة، فإنَّ فيهم من يُغضبه مِزاجكَ، وإنَّ فيهم من يحزنه تركُ مُزاحكَ.

ولعلَّكَ تسأل:

_ ماذا يحصل عندما تفهم غيركَ؟

وأجيبكَ بيقينٍ يشبه يقين إبراهيم في إحياء ربِّه للموتى:

_ عندما تسعى لفهم الناس فأنتَ تحمي نفسكَ من التَّحَلْزُن، هذا الأخير الذي تورَّط فيه الكثير منهم، وما عادوا يكترثون بإخوانهم، بحُجَّة أنَّ الاعتزال خير من الاختلاط، كأنَّهم لم يفهموا بعد أنَّه ما استحقَّ أن يُولدَ من عاش لنفسه!

بالفهم تُدرك أنَّ حياتكَ ليست لكَ وحدكَ، ولكن للآخرين حقٌّ فيها، وكيفما تكون في نفسكَ تكون للآخرين، فإن كنتَ شوكًا أَدْمَيْت، وإن كنتَ وَردًا عطَّرت.

بالفهم ستُنقذ نفسكَ من إلقاء الأحكام جُزافًا، وتحرص على تبيُّن الصواب من الخطأ، وتعمل على تركِ المسموعات والإشاعات؛ لا لشيء إلَّا لأنكَ استوعبتَ أنّها لا تُغني من الحق شيئًا.

بالفهم ستعذر من أخطأ مع امرأة في لحظة رغبة، لعلمكَ أنَّ الشهوة ليست سهلة، فقد أهبطت نبيًّا من جَنَّة.

بالفهم لن تتسوَّل الحبَّ من قلبٍ ينبضُ لغيركَ، لعلمكَ أنَّ بعض القلوب كأغماد السيوف لا تتَّسعُ لسَيفين.

بالفهم تنجو من الخلط الذي ابتليَ فيه كثير من الناس، ذلك الخلط الذي أوهمهم أنَّ من وافقهم الرأي صديق، ومن خالفهم إيَّاه عدوٌّ، ونِعِمَّ النجاة هذهِ إذا ظفرتَ بها؛ لأنكَ بمثل هذا الفهم قدَّمتَ خدمة جليلة لنفسكَ بالحفاظ على إنسانيَّتكَ التي راحت ضحيَّة التأرهُب؛ إذْ يبدأ الإرهاب في تشكيل نواته الأولى، مِن لمَّا نعتقد أن من يخالفنا الرأي هو عدوٌّ لنا.

بالفهم لن تحاسب الناس على أخطائهم، وإنما تعمل على تصحيحها لهم، فأنتَ لستَ رسولًا مبعوثًا بوحي معصوم لتقول للناس: «افعلوا، ولا تفعلوا»، بل أنتَ واحد منهم، مخلوق من طينتهم، ويأتي منكَ ما يأتي منهم، فلا تَتَطَاوَس على غيركَ، ولا تُدَجِّنهم، فكلنا من آدم وآدم من تراب!

عندما تفهم حدود نفسكَ لا تُكلِّم الناس بيديكَ، وإنَّما تُكلِّمهم بلسانكَ، مع صوتٍ خافتٍ ينمُّ عن حسن أدبكَ، وستحسنُ الظنَّ بهم في قراءة لومهم لكَ، فالكثير منهم يعاتبكَ لتكون أفضل لا لترحل، حينها فقط تُدرك أنَّ عتابَ الأحبة مثل عملية التشجير، في الظاهر يبدو انكسارًا، لكنه في الباطن هو عملية تهيئة للنُّمو.. لكن حينما تتَّسع فجوة الفهم بينكَ وبينهم ستجيد قراءة النَّقص، وستحسبُ كلَّ صيحةٍ عليكَ.

عندما تسعى لفهم غيركَ فإنك لن تنصحه أمام الملأ، ولن تلومه بصوت جهوريٍّ في موقف يستدعي خُفوتَ الصوت، لاستيعابكَ أنَّ التصريح في معرض التلميح تجريح.

شيئًا فشيئًا ستكبر في عقلكَ، وتقلُّ خسائركَ، لاسيَّما إن أدركتَ أنَّ الحقَّ أوسع من أن يستحوذَ عليه أحد دون غيره، ومن هنا تُدرك أنَّنا لا نستطيع أن نَحكم الحُكم القاطع بذهنٍ مَحدود، ولا يصحُّ أن نُدينَ غيرنَا ونحنُ نعرف بعض المعرفة:

قل لمن يدَّعي في العلم فَلسفة حفظتَ شيئًا وغابتْ عنكَ أشياءُ

ستعلم حينها أن كثير ما تعرفهُ قليل في جنب ما لا تعرفهُ؛ لذلك من الصعب أنَّ تُراهن على أحَقيَّتكَ بالمطلق، وأنتَ تُدرك أنَّ لا أحد بمقدوره أن يحيط بكامل الحقيقة؛ إذْ سُنبلةٌ واحدة لا تصنعُ حقلا، وشُعاعٌ واحد لا يصنع شمسًا.

شيئًا فشيئًا سيتوسَّع صدركَ للمخطئين، وعوض أن تُجَرِّمَهم تعمل على إصلاحهم، لعلمكَ أنَّ سبَّ الشمعة بعد انطفائها لا يُشعلها من جديد، فما فائدة السَّباب إذن؟!

ولكن هذا لا يكون لكَ بفهمٍ كفهمِ العوام، وإنَّما بفهمٍ رفيع المستوى كفهم سُليمان أو يُقاربه..

الفهم السُّلَيْمانيُّ دائمًا يجعلكَ تَستحضر أنَّ الإنسان مِنَ النسيان، وأنَّ القلبَ من التقلُّب، وأنَّه لا مناص من الخطأ، ومن هنا تخرج من عنق الزجاجة إلى سعة الهواء، ستخرج من دائرة اتِّهام الناس إلى بيئة إعذارهم، ربَّما لأنكَ بدأتَ تستوعبُ أنَّ أَفْهَمَ الناس أَفْهَمُهُمْ للناسِ، يقول أناتول فرانس: «خيرٌ أن تفهمَ الآخرين جيِّدًا، من أن تُسيء فهم الآخرين».

وبينما أنتَ في طريقك لالتماس الفهم ستتورَّد حياتكَ تلقائيًّا، ستلتمس الأعذار للناس مهما كان خطؤهم فادحًا؛ لأنكَ بدأتَ تستوعبُ أنَّهم خُلقوا من نفس طينتكَ، وسيقع منهم ما وقعتَ فيه أو أفدح، بل حتَّى لو وقعوا في أمور لم تقع فيها ستعذرهم؛ لأنكَ بدأتَ تعي أنَّ نجاتكَ من ارتكاب الخطأ لا تسوِّغ لكَ تجريم المخطئين، فهو فضلٌ من الله عليكَ لا أكثر!

ولا شكَّ أنني واحدٌ من الآخرين، وأحتاج أن تفهمني يا صديق!

عندما تفهمني ستطول علاقتنا بدل أن تنصرم، وتُضفي لها نَفَسًا بدل أن تختنق، سأتَّصل بكَ لأفضفضَ لكَ، سأرى فيكَ السند حتَّى لو كنتَ تبعد عنِّي بآلاف الأميال، السند ليس كتفًا تضع عليها رأسكَ، بل شخصًا يُخفِّف عنكَ ما أثقل كاهلكَ.

السند مكالمة هاتفيَّة شاركتني فيها لحظة سعادة برغم بعدكَ، كلمة طيِّبة ربطتَ بها على قلبي الَّذي شتَّته مشاكل الدنيا.

عندما تفهمني لا تُكلِّمني عند حاجتي للسكوت، ولا تُسكتني عند حاجتي للكلام، ولا تتعصَّب لرأيك، فإنّ التعصب علامة على الخطأ، وربما ظنَّ المتعصب أنّه قويّ الإيمان، ونسيَ أنّ الإيمان ذاته يُبنى على التفهُّم، وليس على التعصُّب.



04||_ واجهْ أخطاءكَ

الهرب من الحريق لا يطفئه
بل لا بدَّ من سكبِ الماء لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه!

ينتظر الأغبياء من الحياة ألَّا تتكالبَ عليهم، بينما الأذكياء يُنضجون أنفسهم لكي يكونوا مؤهَّلين لحلِّ مشاكلهم؛ لذلك عند حدوث مُشكلة، ينبغي للشخص ألَّا يقف وقفة سلبيَّة، بل حقيق به أن يتأهَّب لكلِّ طارئ، من أجل تجاوز مشاكله الفُجائيَّة، ولا يُرسل لعقله رسائلَ مثبِّطة وأفكارَ محبِّطة كأن يعتقد أنَّ مشاكله لا حلول لها!

مَن يؤمن أنَّ لكل داء دواء، أحرى به أن يؤمن أنَّ لكل مشكلٍ حل، وفي الوقت نفسه حريٌّ به أن يُبادر بنفسه لحلِّها، ولا يقتل الوقت في انتظار من يحلُّها نيابة عنه؛ لأنه من الغباء انتظار طرف آخر لحلِّ مشكلة شخصيَّة.

ضفْ إلى ذلك: إنَّ الَّذين لا يملكون زمام حلولهم، سرعان ما يدخلون في مشكل جديد فور خروجهم من مشكل قديم.

ولأنَّ المشاكل في هذه الحياة ضروريَّة، فليس من العقل أن نطمع في حياة بلا مُنَغِّصات، وليس من العقل الهرب منها ظنًّا أنَّ الهرب من المشاكل يمكن أن يحلَّها.

ما أقوى ذلك الشّخص الّذي لا يلوذ بالفرار، حتَّى لو أتيحت له فرصة الاختباء، ففي النهاية كلّنا نعلم أنّنا مخطئون في حقّ الكثير من الناس، والاختباء ليسَ مبررًا مقنعًا؛ لأنه لا يزيد الرُّقعة إلَّا اتِّساعًا، والجرحَ إلَّا نزيفًا، كَون الذين يَجبنون عن مواجهة الواقع هم في الحقيقة يتسبَّبون في تحجيمِ أخطائهم، ويَحْرِمُونَ أنفسهم من فرصة إعذارهم!

الهرب من المشكلة وغضُّ الطرف عنها لن يحلَّها، بل يزيد من حجمها، فبعض المشاكل مثل كرة الثلج إن لم نتصدَّ لها كبرتْ.

لمّا أرسل الله سيِّدنا موسى إلى الطّاغية فرعون، لمْ يتحجّج موسى بعدم الذّهاب كونه قد قتل نفسًا من قومه، ولكنّه استعان بالله تعالى وذهب يدعوه، فآمن به من آمن، وكفر به من كفر.

دائمًا لا تُخفي نفسك عن الآخرين مهما كان خطؤك كبيرًا، وإن كان لا حيلة من ارتكاب الخطأ، فارتكبه مُتَخَفِّيًا لا مُجاهرًا، لكن احذر من الهرب بعد ارتكابه؛ لأن الأقوياء لا تهزمهم الأخطاء بصرف النظر عن حجمها، أو عن الشخص الذي مُورِسَتْ عليه، فلا أكبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقفوا أمامه للاعتذار منه بعد جرائمهم في حقِّه!

لا تنسَ أنَّ الناس قد يُسامحونك إذا اعترفتَ بأخطائك، لكنّهم أبدًا لن يسامحونك إذا خبَّأتَ نفسك كجبناء المعارك؛ وعليه تعلَّم من مواجهة أخطائكَ ألَّا تتهرَّب منها، فالهروب لا يُنجب حلًّا بقدر ما يُجهضُ آخر حلولكَ.

عُدْ إلى الله بعد كلّ ذنبٍ ترتكبه، فلعلّ ذلّ العودة إلى الله يمحو ذلّ ذنبك، فيُحَوِّله إلى عزّة لكَ: {وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} «البقرة: 284».

قال ابن القيّم عن سيّدنا آدم: «تالله ما نفعه عند معصيته عزّ: {اسْجُدُوا}، ولا شرف: {وَعَلَّمَ آَدَمَ}، ولا خصِّيصة: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، ولا فخر: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي}، وإنّما انتفع بذلّ: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا}».

لأن الاعتراف يُذهبُ الاقتراف، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنبَ له، فخذْ من الإسلامِ أخلاقه، فإن كان الإسلام يَجُبُّ عمَّا قبله، فَلِمَ تحملُ أنتَ في قلبكَ ما يُبقي الآخرين مذنبين، وبمقدوركَ أن تضمَّهم إلى صفِّك بالصفحِ عنهم؟!

لا تنس يا ابن آدم أنّ آدم انتفع بذلّه لا بعزّه، فعد إلى الله ذليلا يعزّك، فما عاد عائد وخاب بعد عودته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِن عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَن يَرُدَّهُمَا صِفْرًا).

لقد علّمنا سيدنا آدم أنّ الله يغفر لمن يُقْبِل إليه صادقًا، حتَّى لو كانت المعصية في الجنّة، كيف ونحن نعصيه في الأرض؟

عُد إلى الله، يُعِدْ إليك كلّ من خسرتهم، بل قد يعوّضك بخيرٍ منهم، وأيقن أنَّ الله لا يريدك عبدًا بلا ذنوب، ولكنّه يريدك عبدًا كلّما أذنبَ استغفره؛ لأنه لا خطأ أكبر من الهروب من الأخطاء، ولا ذنبَ أخطر على الإنسان من ترك التوبة بعد إتيان الذنوب!

لذلك عندما تختفي بنفسك بدل أن تواجه، فأنت تحرم نفسك من تصحيح أخطائك؛ وبالتالي أنتَ تحرم نفسكَ من التوبة، وهذا فعلُ إبليس.. فإيّاك إيّاك!

واجه أخطاءكَ، فإنه لا سبيل لتجاوز الأخطاء مثل مواجهتها.



05||_ أخْطاء أُسريَّة قاتلة

لكل أسرة نصيبها مِن المشاكل
لكن الأُسَر السعيدة تُجيد تجاوز هذه المشاكل عن طريق عدم تكرار الأسباب التي تُوقِعُ فيها!

✓ {مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} «الرّوم: 21»: قدَّم المودَّة الَّتي تعودُ للمَحبَّة عن الرَّحمة الَّتي تعود للأولاد، لِتعلم أنَّ مَحبَّةَ الزَّوج أولى في أهميَّتها مِن إنجاب الوَلَد، لكن للأسف الكثيرُ من عَوائلنا يعيشون مجرَّد عَلاقات تَناسليَّة، الأب يَنكح والأمُّ تُنجب!

❁❁❁

✓ جاء في الحديث: (وَإِذَا شَكَكْتَ فَلَا تُحَقِّقْ)، قبل أن تُحقِّق مع زوجتكَ، اسْألْ نفسكَ: هل تريدُ أن تكون محقًّا أم سعيدًا؟

ليست كلُّ الشُّكوك تستحقُّ أن نسعى للتحقُّق منها، فَبعض الشُّكوك تفعل براحة البال ما يفعل السُّوس بالأضراس!

❁❁❁

✓ كثيرٌ من النِّساء يَعتقدنَ أنَّهنَّ وَحدهُنَّ من يحتجنَ الرِّفق، صَحيح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شبَّه النساء بالقوارير، لكن لا يُفهم من ذلك أنَّ الرفق يقتصر عليهنَّ دون الرجال، فالرجال أيضًا يحتاجون إلى الرفق أيتها القوارير!

۞۞۞

✓ على الأزواج أن يُدركوا أنَّ المشاكل جُزءٌ من حياتنا، وليست بالأمر الذي ينبغي أن نُقَبِّبَ حَبَّتَهَا، وننفخَ في قِربتها، الأمر الذي يُحتِّم علينا التفكير بالحلول لا تضخيم المشاكل، أمَّا إن كنَّا نُريدُ حياةً بلا مشاكل فعلينا أن نكون في المقبرة!

ثمَّ تأمَّل -بارِكَ الله في عقلكَ- زوجاتُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كلَّهن من أهل الجنة، وإلى ذلك لم يَسلم بيتهُ من المشاكل، فكيف يَسلمُ بيتكَ منها، وأنتَ لا علم لكَ ولا لأهلكَ إن كنتَ من أهلِ الجنة أم لا؟!

۞۞۞

✓ كثيرٌ منَ الآباء يظنُّون أنَّهم هُم من يَرزقون أبناءَهم، كلَّا، بل إنَّ مِنَ الآباء لولا أبناءَهم ما رُزقوا.

لذلك لا تَخشَ على ولدكَ، فالإنسان يُنجب والله يَرزق، قال تعالى: {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} «الأنعام: 151».

۞۞۞

✓ سأل صحفيٌّ أحدَ الزوجين:

_ كيف تـمكنتما من العيش معًا مدة خمسٍ وستين سنة؟

ردَّت الـمرأة قائلة:

_ في زماننا إذا انكسرَ الشيءُ يُصلَّح ولا يُرمى.

لتستمر علاقاتنا مع الآخرين يجبُ أن نتغاضى على الكثير من الأشياء التي تسرُّنا، وإلَّا لم نتمكن من العيش مع أحد!

✓ منَ المُخجل أن يُحدِّثكَ رَجل عن امرأة دَخلت النَّارَ في هِرَّة حَبستها، وهو يَحبس امْرأةً في بَيته!

أيُّها الرجل الكريم!

حَبْسُ المرأة في البيت لا يصنعُ شرفها بالضرورة، فما أكثر النساء اللَّاتي رُزقنَ بوظيفة وهُنَّ من أحفاد عائشةَ أخلاقًا، وما أكثرَ النساء اللَّاتي مكثنَ بالبيت فكُنَّ أخْوَنَ من امرأة لوطٍ!

تأكَّد أنَّ وظيفة المرأة أو مكوثها بالبيت لا علاقةَ له بأخلاقها، فالأخلاق تأتي من تَلقاء ذواتنا ولا يصنعها مُحيطنا بالضرورة!



✓ خَطأُ المُتزوِّج لا يَكمن في دُخول القَفص الذَّهبي، إنَّما بتضييع الذَّهب والاحتفاظ بالقفص.



✓ لا أتعسَ من زَوجةٍ لمْ يزدْ الزَّواج شيئًا في حياتها، غيرَ خَاتمٍ وُضع في بُنصرِ يدها، لذلك على كلِّ مُقْبِلَةٍ على الزواج أن تُدرَّس أنَّ الزواج ليس ليلة دُخلة، ولا موكبَ عُرسٍ، الزواج أكبر من هذا بكثير..

الزواجُ عِشرة عُمر، وتربية أولاد، وغسلُ ثياب، وترتيب أثاث، وطهيُ طعام.. باختصار الزواج جِهاد وليسَ استمتاعٌ فحسب..

فاسْتدركي قبل أن تَهْلَكِي!



06||_ مُعوِّقاتُ النَّجاحِ

النجاح ليس هديَّة، بل افتكاك!

01|_ عَدم تحديد الهدف:

أصعبُ شيءٍ في طريق النَّجاح أن لا تَعرف هدفكَ؛ لذلك قبل أن تَنطلق حدِّد هدفكَ الذي تودُّ بلوغهُ، فالمتسابقُ قبل أن ينطلق يعرف جيِّدًا المسافة الَّتي يجتازها.

خُطوة مهمة في حياة الإنسان حينما يكون لديهِ طُموحٌ لتحقيق أهدافهِ، والخُطوة الأهم أن يسعى إلى توضيح أهدافه حتى يستطيع الوصول إليها!

خطأٌ فادحٌ أن تكون الأمور التي لا نُريدها واضحةٌ لدينا، في حين الأمور التي نُريدها تعتريها الضبابية، فإذا ما سَأَلَنَا سائل عن أهدافنا، أجبنا فكِدنَا لا نُبين عنها!

مهما كان الهدفُ عظيمًا، فإنه ما لم يُبيَّن طريق الوصول إليه، فإنه يظلُّ مجرد أُمنية، والأماني بضاعة العاجز، الأماني مثلها مثل السراب، تُريك الماء ولا ماء!



02ـ الثِّقة المُفرطة:

حاولْ ألَّا تُفْرِط في ثقتكَ بكائنٍ من كان، فالذينَ عبَرُوا البحرَ معَ موسى عليه السلام رجعُوا لعبادة العِجل.

وإنْ خُذلَ موسى عليه السلام وهو نبي، فكيفَ لا تُخذَل وأنتَ مِن جملة الناس العاديِّين؟!



03ـ عدمُ الثَّبات:

احْفظْ نفسكَ من التشتُّت، لاسيَّما عندما تواجهكَ ظروف خارجة عن نِطاق توقُّعاتكَ، لمَّا تُوفِّي النبيُّ صلى الله عليه وسلم لمْ يرتد سيُّدنا أبو بكر الصدِّيق، بلْ قال كلمته الشهيرة: «من كانَ يعبدُ محمَّدًا، فإنَّ محمَّدًا قدْ ماتَ، ومن كانَ يَعبدُ الله، فَاللهُ حيٌّ لا يَموتُ».

أشدُّ النَّاس حُبًّا للنبي صلى الله عليه وسلم هو سيُّدنا أبو بكر الصدِّيق، ومع ذلك كان هو أوَّل من نَعَى وفاةَ النبي صلى الله عليه وسلم. عَظمةُ الرِّجال تحتاجُ ثباتًا أمام المُعوِّقات.

كن ثابتًا كجبلٍ أَشَمٍّ لتجتاز العراقيل، ولا تكن كالرمال التي تلعب بها الرياح الخفيفة!

04ـ رفضُ تحمُّل المَصائب:

إنَّ النجاحَ لا يكون من دُون ضريبة باهظة، فلكيْ تنمو الشجرة علينا تقليمها، فلماذا تَرفض أنتَ أن تُقلِّمكَ الحياة، إن كان ذلك في سبيل نُموِّكَ؟

❁❁❁

05ـ التَّبعيَّة الفِكريَّة:

أوَّل خُطوةٍ لإثبات ذاتكَ: هو تخلُّصكَ من التبعية لكائنٍ مَن كان، فليس غيركَ أفضل منكَ، ولا أنتَ أقلَّ من غيركَ، ولولا خُروج «فِيدَال كَاسترُو» عن الماركسيَّة لَمَا أصبح له تاريخٌ يُدرَّسُ في المدارس، لذلكَ على الإنسان أن يتحرَّر ليُبدع، تحرَّرًا يبني الإسلام ولا يهدمهُ، تحرُّرًا يُثبتُ به أنَّه لمْ يُخلقْ عاقلًا ليُقلِّد بينما بمقدوره أن يبتكر، ذلك أنَّ العقول المُتحجِّرة خطيرةٌ للغاية، تُشبهُ الماء الرَّاكد، فهو لا يصلحُ للشرب فقط، أيضًا يُسبِّب في نشر البعوض!

❁❁❁

06ـ إهْمالُ الوقت:

الكلُّ يتحدَّثُ عن الدكتور إبراهيم الفقِّي، يَسألونكَ عن السرِّ وراء نجاحاتهِ؟! كلُّ ما أعرفهُ عنه أنهُ كان يُولي اهْتمامًا كبيرًا بالوقت، حتَّى أنه أفرد له كتابًا خاصًّا سَمَّاه: «إدارةُ الوقت»[3].

---

[3])_ https://www.noor-book.com/كتاب-ادارة-الوقت-للكاتب-ابراهيم-الفقي-pdf.

فلو لم يكن لإدارة الوقت كبيرُ أهميَّةٍ، لما أُفرد لها كتبٌ مُستقلَّة، ومن أفردَ لها؟ الدكتور إبراهيم الفقي!

ولقد شدَّني في عنوان كتابه: (إدارة الوقت) لفظة: (إدارة) وكأن الأستاذ يُريد أن يُلفت القارئ أن أزمة الإنسان ليست في عدم توفر الوقت الكافي لقضاء مصالحه، إنما في سوء إدارة وقته، فكان لازما أن يسبق الوقت بالإدارة، لندرك أن ضياع المصالح يأتي من فقد الإدارة للوقت، وليس من فقد الوقت نفسه، وإلَّا فإن كل الناجحين يعيشون في اليوم أربعًا وعشرين ساعة!

كنت مثلك لا أملك وقتًا، فالتقيتُ بأستاذ نصحني قائلا: (نظِّم وقتك، تتفرَّغ)، من يومها وأنا أحسُّ بالإنجاز؛ حيث لم يعد لدي وقت للفراغ، وقد كان وقتي مليئًا بالفراغ، ولم يعد كل الوقت صالح للناس، بل إنني منعتُ أكثر الناس مِن اقتحام برنامجي اليومي، وقد كنتُ بالأمس أسمح لكل مَن هبَّ ودبَّ ليخترقني في وقتي!

عندما لا تعرف قيمة وقتكَ لا تجيد استثماره، وعندما تفقد شغف الاستثمار في وقتكَ فإنكَ لن تُنجز حتى لو تفرَّغتَ، ولن تُبدع حتى لو تأهَّلتَ! يقول الإمام حسن البنَّا –رحمه الله–: «مَن عرف حقَّ الوقت، فقد أدرك قيمة الحياة»، أو كما قال: «إنَّما الوقت هو الحياة»، يُخالف بذلك قول الماديِّين: «الوقت من ذهب»! فالوقت أنفس من

الذهب، لأن الذهب سلعة تباع وتشترى، ومن أضاع صفيحة من ذهب أمكنه أن يشتري غيرها، لكن من ضاع منه أمسه لن يستردَّه ولو دخل الجَمَلُ مِن سَمِّ الخِياط!

۞۞۞

07ـ اعتقادُ أنَّ الفشل نهايةُ كلِّ شيءٍ:

فشلكَ لا يعني نهايتكَ، ولا يعني نهاية كلّ الفُرص؛ لذلك إذا طوَّقكَ اليأس حتَّى بدَا لكَ أنَّ لا أمل لديكَ، تذكَّر أنَّ كُسُور البيض تَنتهي بولادة عصفورٍ، وأنَّ أحلكَ ساعات الليل تلك الَّتي تكونُ قُبيل طُلوع الفجر.

ثمَّ لا تنسَ أنَّ ترقُّبكَ للفرج عبادةٌ منكَ، كونكَ تثق أنَّ فَرَج الله تعالى آتيكَ، ومن اعتقد في الله خيرًا كُوفئ خيرًا، هكذا يُفكّر الناجحون، لا يأس مع الله، لا فشل مع الله..

هي فقط محطَّات وتمرُّ، فقد أوذيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكَّة والطائف، ثمَّ لم يلبث أن اسْتقبل في المدينة بالأناشيد، ليس هذا فقط، بلْ نصرهُ اللهُ بفتحِ مكَّة، ليدخلَ الناس بعدها في دِين الله تعالى أفواجًا!

وعليه: ترقَّب بعد فشلكَ أنَّ هناك نجاحات كبيرة في انتظاركَ، ولابدَّ قبل فتح مكَّة منصُورًا من الخروج منها مقهُورًا.

عبارة جميلة للدكتور إبراهيم الفقي -رحمه الله- يقول فيها: «إذا كان مصعد النجاح مُعطَّلًا، استخدم السُّلم درجة درجة»؛ بمعنى: لا تتحجَّج بوجود معوِّقات، فلا يخلو طريق منها، لكن ثق أنَّ لكل معوِّق في طريقكَ بديل آخر يُغنيك عنه.. إنَّ الجنة وما أدراك ما الجنة لديها ثمانية أبواب، فكيفَ تعتقد أنَّ لك بابًا واحدًا في هذه الدنيا؟!

۞۞۞

08ـ كن معي أو أنتَ عَدوّي:

يجبُ أن نُفرِّق بين المنافسة وبين العداوة، فليس كلُّ من ليس معكَ بالضَّرورة هو عدوّكَ، العَداء عاطفةٌ سَيِّئة، وقد يكونُ في صفِّكَ من هو عدوُّكَ!

فكن أكبر من أن تُصنِّف النَّاس إلى مؤيِّدين وأعداء؛ لأن وصفَ شخصٍ مَا بالعَداء فيه تَنقيصٌ لكَ، ذلكَ أنَّ العقول النيِّرة تحترمكَ رغم الإعراض، أمَّا العقول المُنغلقة فتلجأُ إلى إهانة الأعراض.

۞۞۞

09ـ اعتقاد أنَّ الحياة مبنيَّة على الحُظوظ:

لا أحدَ يُولد من بطن أمِّه ناجحًا، إنَّما هناك من يستغلُّ الفرص، وهناك من لا يعرفُ كيف تُؤكل الكتف؟

الحياةُ مبنية على الذكاء، وليس على الحظّ، احْفَظْ هذا جيِّدًا.

۞۞۞

10|ـ اعتقاد أنَّ النجاح يكون بتوفُّر البيئة المناسبة:

عندما دخل «فُولتير» السِّجن أَكمل مَسرحيته المأساوية «أُوديب»، فكانت سببًا في جعله أشهر مسرحيّ فِرنسيٍّ! دُخول السجن ليس أمرًا سيئًا على إطلاقه، فقدْ يُدخلكَ الله سجنًا من السجون ليُخرج بكَ من سُجنوا.

ألم تر كيف فعلَ ربَّكَ بأصحاب يوسُف؟ فقدْ دخل عليهم سُجناءً في الشِّرك، فحرَّرهم إلى عبادة الله الأحد.

مُطلقًا لا تدعْ الظُّروف تُثنيكَ عن إكمال أَحلامكَ، فبعضُ الأحلام لكيْ تتحقَّق يجبُ أن تُوضع في مكانٍ لا تَحلمُ به، ولا تترك حديثَ الناس يقفُ حجرَ عَثْرةٍ أمام حُسنِ نيَّتكَ في النجاح، فحسبكَ أنَّ الله تعالى يعلمُ بذلك، وحسبكَ أنَّ الله يُغنيكَ عنهم، سواءً كانوا خيِّرين أو أشرارًا، قال الفضيل بن عِياض: «والله لو يَئِسْتَ مِن الخلق حتَّى لا تريدُ منهم شيئًا، لأعطاك مولاكَ ما تُريد».

في هذه الحياة سُجون كثيرة مُختلفٌ ألوانها، ولا نعني بالسجن هذا السجن المعروف عند الناس، بلْ نعني كلَّ ما يُمكن أن يُعوِّقكَ عن مسيرتكَ الإنجازية؛ إذْ الحزن سجنٌ، واليأسُ سجنٌ، والفوضى سجنٌ.. وكلُّ هذه الأمور قد يكونُ الدخول فيها أمرًا محمودًا؛ فلولا مرارةُ الفوضى ما عرفنا راحة النظام.

ولولا جحيميَّة اليأس ما اهتدينا لرحمة التفاؤل.

ولولا ضيقُ الحزن ما اكتشفنا سَعة السعادة، وكم في طيَّات المحن من منح، {وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} «البقرة: 220»، فقد يُصلحكَ بما تراهُ مُفسدًا، وقد يُفسدكَ بما تراهُ مُصلحًا، فسلِّم تَسْلم!

ضِفْ إلى رصيدكَ:

أكبرُ دليل على أنَّ البيئة غير مشروطة لصلاح الإنسان، أنَّ السيدة آسية عاشت في قصر فِرعون ثم أصبحت من سيِّدات أهل الجنة، بينما عاشت زوجةُ لوط تحت نبيٍّ فصارت من أَخْوَنِ نساء الدنيا!

وعاش سيُّدنا إبراهيم يُوحِّد الله بين قومٍ عبدوا الأصنام حتَّى النخاع، وعاش ولدُ نوحٍ كافرًا وهو ابنُ نبيٍّ قضى ألف سنة إلا خمسين في الدعوة إلى الله تعالى.

وآمنَ سَلمان الفارسيّ وهو من قومٍ عبدوا النار، وكفر أبو لهب وقد عاش حياتهُ قُرب الكعبة.

والقائمةُ تطول.. وخيرُ الحديث ما قلَّت ألفاظه وكثُرتْ معانيه!



11ـ اعتقاد أنَّ النجاحَ يكون دائمًا من المدرسة:

فَشَلَ «بيلْ غِيتس» في الدِّراسة، في حين نجحَ صديقه، صديقهُ الآن مُهندسٌ في شركة «مَايكرُوسُوفُت» و«بيلْ غِيتس» هو مالكُ شركة «مَايكرُوسُوفُت»، مُطلقًا ليست الدراسة الأكاديمية معيارًا على التفوق.

حقَّق آينشتاين ما حقَّق قبل أن يحصل على منصبٍ أكاديميّ، كثيرًا ما لا تُصنع المواهب في المدرسة، إنَّما في البيت.

۞۞۞

12|ـ عدمُ التَّطبيق:

الفشلُ لا يأتي فقط بناءً على عدم وجود أهدافٍ يسعى الإنسان لتحقيقها، أيضًا يأتي جرَّاء من كان لديه أهدافٌ ولمْ يخْطُ خُطوةً واحدة في سبيل تحقيقها.

مُصيبتنا ليست في عدمِ الأهداف فقط، إنما في تفعيلها رغم وُجودها، ومن عَدِمَ تفعيلَ ما يأملُ نيله، كانَ نوالهُ مثل شَمعةٍ ولا عُودَ ثقابَ يُشعلها، فأنَّى لهُ بنورها؟!

وعليه: مُشكلةُ جُلِّ النَّاس لا تكمنُ في جهلِ الصَّواب، إنَّما في عدمِ تطبيقه، فأولئكَ الَّذين لا يُطبِّقون بحجَّة أنَّهم لا يعرفون قلّة مُقارنةً بأولئكَ الَّذين لا يُطبِّقون رغمَ أنَّهم يعلمون.

وبالتالي صارَ لزامًا علينا أن نخرج منَ التجريد إلى التَّجريب، ومِن الدِّيوان إلى الميدان.. فلا خير في فكرة عملاقة مسجونة في رأس صاحبها، ولا خير في همَّة توَّاقة في قلبٍ صاحبه مكتوف اليدين!



07||_ ليسَ بصياح الديك يسقط المطر

قال الشاعر والمسرحي البُنغالي طَاغُور:

«سألَ الممكنُ المستحيل: أينَ تُقيمُ؟

فأجابهُ: في أحلام العاجز»!

إنَّ الأرضَ رغم فيضهَا بالخيرات، لن تُعطيكَ حبَّةَ قمحٍ ما لمْ تَبذلْ جُهدًا في تعهُّد تلك الأرض، فلا تطلبْ من الغصن ثمارًا وأنتَ تبخلُ بالماء عن الجذور.

ولأنَّ النجاح لا يكون بالأقوال وإنَّما بالأفعال، والأفعالُ لا تكون ناجحةً حتَّى يطغَى عليهَا طابع الإخلاص، جديرٌ بكَ أن تكونَ فعَّالًا لا قوَّالًا، مُستيقظًا لا حالمًا.

لذلك أيقن:

ليس العاجزُ من فقد أحدَ أعضائه، وإنَّما العاجزُ من رامَ إدراك شيءٍ وهو مكتوفُ اليدين، يقول برنارد شُو: «الرجلُ القويُّ يعمل، العاجزُ يتمنَّى»!

استوعبها: الأقوال بضاعةُ الفاشلين.

حملُ السيف لا يجعل من حاملهِ فارسًا؛ إذْ لابُدَّ من أشياءٍ أُخَر؛ فليس بصياح الدِّيك يسقط المطر!

إنَّ النجاح طريقهُ غيرُ سهل، وسلوكهُ يحتاجُ إلى طُول نَفَسٍ؛ لئلَّا يُرهقكَ من أمره عُسرًا.

ومن سُنَّة الحياة أنَّها لا تُعطي حصادها إلَّا لمن زرعها، ولا جَناها إلَّا لمن غرسها، فاعْمَلْ ولَا تكتفي بالتأمُّل، فلوْ أنَّ مَشاريعنَا ظلَّت مُجرَّد فكرةٍ تُداعب الخيال، لبقينَا أقزامًا في أعين الآخرين حتَّى لو كنَّا عُظماء في أعين أنفسنَا.



08||_ سُكَّانُ القِمَم

القمَّة تتَّسع للجميع

لكن الذين يشغلون أنفسهم بغيرهم لن يصلوا إليها!

إيَّاكَ أن تَموت قبل أن تبني لكَ بيتًا في الجنة!

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (مَن أَصْبَحَ مِنكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: فَمَن تَبِعَ مِنكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: فَمَن أَطْعَمَ مِنكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: فَمَن عَادَ مِنكُمُ اليَوْمِ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِىءٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةِ)!

سُكَّانُ القمم هم أناس كالناس، يَدُبُّون على نفس الأرض الَّتي نعيشُ فيهَا، إلَّا أنَّ أجسامهم تَمشي على الأرض، وأرواحهم تُحلِّق في السماء:

في الأرضِ مجـــدهم ولكـــن قَلْبُهم لجنة الفردوسِ رَامَ رحيلَا

وقَديمًا قيل: «قَدرُ الرجلُ على قدرِ هِمَّتِهِ، فمن كانَ عالي الهمَّة، كانَ عاليَ القَدرِ»؛ فلا تنتَظر أن يكونَ قدْرُكَ عاليًا بهمَّة سَفْسَافة!

شمِّر على ساعدِ الجدِّ، ولَا يقعدُ بكَ العجزُ عن المَكرماتِ:

لا تَحسبنَّ المجدَ تَمرًا أنتَ آكلهُ

لن تنالَ المجدَ حتَّى تلعقَ الصبرا

لكلِّ مَجدٍ مكافأةٌ تليقُ بمقامه، فمن جدَّ في العلم كُوفِئَ باحْتياج الناس إليه، ومن جدَّ في بذل المعروف كُوفِئَ بِثناء الناس عليه، ومن كانَ هَمّهُ ما يدخل بطنهُ، كانت قيمتهُ ما يخرجُ منهُ:

إنَّ المَكـارمَ لا تحصـل بـالمُنَى

لكــن لهــا بالتضــحيات ســبيلا

فلَكمْ سـمَا لِلمجدِ من أَجدادنَا

بطـل أقـام علـى السـموِّ دلـيلا

فسَلْ المعالي عن شجاعة خالـد

وسَـلْ المعـاركَ هـل رأتـهُ ذلـيلا

في الأرضِ مجـــدهم ولكـــن

قَلْبُهم لجنَّة الفِرْدَوْسِ رَامَ رحيلا

وخُذ المكارم لا تخف أعباءَهـا

عـبءُ المكـارم لا يكـون ثقـيلا



09||_ عشرةُ وسائِل لبناءِ شخصيَّة قويَّة

قوة الشخصيَّة بناء وليست حظ!

01|_ الشورى:

كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم معصومًا عن الخطأ، ومع ذلكَ كانَ يَستشيرُ أصحابهُ رغم عدمِ عصمتهم، ولـمَّا اتَّخذ صلى الله عليه وسلَّم موضعًا للقتال ببدر، وأنزل الجيش منزلًا ظنَّه الأفضل، فإذا بالـحَباب بن الـمنذر يسأله: أَهُوَ موضع أنزلك الله إيَّاه، أم هي الحرب والمشورة والرأي؟ فقال: (بل هي الحرب والمشورة والرأي). فقال الـحباب: «ما هذا بمنزل للحرب، أرى أن تكون آبار بدر خلفنا فنشربَ ويشربون»، فنزل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم عند رأيه، هذا وهو المؤيَّد بالوحي، وصعد إلى السماء السابعة ذاتَ معراج، وأَمَّ الأنبياء ذاتَ إسراء.

الشورَى لا تدلُّ على نَقصٍ في عقلكَ، بقدرِ ما تدلُّ على نُضجهِ، وربَّما كنتَ صائبًا حتَّى لوْ لمْ تَستشرْ، فحُرمتَ بركةَ الصواب بتركِ المشورة؛ إذْ قلَّما تأتي الكفاءة لشخصٍ لمْ يستشرْ مُجرِّبًا، علمًا أنَّ سؤال شخصٍ مُجرِّب عن عمل تُريد الخوضَ فيه أشبهُ بالطريق السيَّار يُقلِّل الحوادث، ويُوفِّرُ السُّرعة!

قال بشَّار بن بُرد:

إذا بلـغَ الـرأي المشـورة فاسـتعنْ برأي نصيح، أو نصيحة حازمِ

ولا تجعل الشورى عليكَ غضاضة فـإنَّ الخـَوافي قـوَّة للقـوادمِ

❁❁❁

02ـ لا تردْ على من يُقلِّل من شأنكَ:

دعهمُ يَستخفُّونَ بكَ، ولن يَضيركَ منهم أذًى ما دمتَ مُكبًّا على صُنعِ الفُلك بعينِ الله، فعند الطُّوفان يُكرمُ المرء أو يُهان.

دعهم يَستخفُّونَ بكَ، وأَسكتهم بتحقيقِ أَهدافكَ، أمَّا إذا أردتَ أن تنتقم من أُولئك الذين يكرهونكَ، فلَا تردَّ عليهم فمويًّا بل رُدَّ عليهم يَدويًّا.

أَرِهِمْ ما أنجزتَ، فإنجازاتكَ كفيلة لأن تُخبرهم بأنكَ لا تراهم، وأنكَ مشغولٌ بأشياءَ أكثرَ أهميةً منهم، فلذَّةُ النجاح تزدادُ حينما يعتقدُ الجميعُ أنكَ لستَ كافيًا[4] لمَا تفعلهُ.

❁❁❁

03ـ قدْ تكونُ عظيمًا بأشياءٍ بسيطة:

تُفاحةٌ واحدةٌ كانت كافيةً لأن تصنعَ المجدَ لنيوتن، إنَّ العظمةَ قدْ تأتي بأشياءَ بسيطة، حَسْبُكَ أن تَنظرَ بِبصيرتكَ لا بِبصركَ فقط.

4 الأصح: كافيًا، وليس: كفوًا؛ لأن الكفؤ هو النظير.

لا تدع الأمور تمرُّ عليكَ دونَ أن تتساءَل، عوِّد نفسكَ على طرح: «لماذا؟»، و«كيفَ؟»

فلولَا «لماذَا؟» لما اخترعَ نيُوتن قانونَ الجاذبيَّة، وتأكَّد أنَّ وراءَ كلَّ مُختَرَعٍ سؤالٌ مَطروح.

۞۞۞

04|ـ عوِّضْ عمَّا فاتكَ:

عظمةُ الإنسان لا تحتاجُ شخصًا لا يُفرِّطُ في الأعمال الكبيرة فقط، أيضًا تحتاجُ إلى شخصٍ يُعوِّضُ عمَّا فاتهُ منهَا.

قدْ يفُوتكَ أن تكونَ عظيمًا في نَظْمِ الشِّعر، ولَا يفُوتكَ أن تكونَ عظيمًا في كتابةِ النَّثر.. لم يشهد زيدٌ بن ثابت بدرًا، ولا حاربَ في أُحُدٍ لحداثة سنِّه، لكن هذا لم يُثنِهِ أن يكون من كُتَّابِ الوحيِ الموثوقِ بهم.

إذا لم يُحالفكَ الحظُّ في أنْ تكون بطلًا في سباقٍ مَا، لا تُضيِّع فُرصة أن تكون سبَّاقًا للبطولاتِ الأخرَى.

۞۞۞

05|ـ لا تستخفَّ بنفسكَ:

قالَ مُدرِّسُ اللغة العربية للكاتب «كَريم الشَّاذلي» بعد أن قذَف دفترَ التعبيرِ في وجههِ: «سَتموتُ قبلَ أن تكتبَ جُملة مُفيدة»! العجيب أنَّ كريم الشاذلي ألَّف أزيدَ من عشرةِ كُتبٍ وهو ابنُ الثلاثينَ فقط!

الدرس: لا تستخفَّ بنفسكَ مهما اسْتخفَّ بك الآخرون.. ربَّما يعتقدُ الكثيرون أنكَ تافهٌ لا تصلحُ لشيءٍ، وأنتَ عندَ الله تعالى بمنزلة الأولياء، إنَّ الله يضعُ سِرَّه في أضعفِ خَلقهِ.

ربَّما كنتَ ضعيفًا في نظرهم، إلَّا أنَّ الله أودعَ فيكَ سِرًّا ولا تعلم.

رُبَّما أنتَ قويٌّ ولا تعلم.

ربُّما أنتَ وليٌّ من أولياءِ اللهِ ولا تعلم.

لا تقل: ولكن أنا كثيرُ الذنوب؟ فمَن قالَ لكَ أنَّ أولياءَ اللهِ بلَا ذُنوب؟

۞۞۞

06ـ صُن أعراض الآخرين:

لا تتعدَّ على أعراضِ النَّاس، حتَّى لو أُتيحت لكَ فُرصةُ ذلك، فقدْ يتعذَّر على مَن مَسستَ عِرضهم بسُوءٍ أن ينتَقِموا مِنكَ، فينتقمُ اللهُ تعالى منكَ عوضًا عنهم، والله يُمهل ولا يُهمل!

لا تقذفْ شريفًا في عرضهِ، بل لا تقذف حتَّى أولئك الذين تأكَّدَتْ لديكَ نذالتهم، فقد تُسوِّل لك نفسك، أو يُوسوس لك الشيطان قذفهم، فيحلَّ عليك عقاب الله تعالى، ويتوب عنهم بعد نذالتهم!

واعلم أنَّ أعراض الناس مصونة، من تعدَّاها عوقبَ لا محالة، ألم يُصارع «فريدريك نيتشه» الألم وصُداعَ الرأس والاسْتفراغ، نتيجة مرضٍ الْتقطهُ من بيتِ دعارةٍ؟!

يا بني، أمسك لسانكَ، فإنه ما ساءت النهايات إلَّا بسوءِ البدايات:

عُفّوا تَعُفُّ نِساؤُكُم في المَحْرم وَتَجَنَّبوا ما لا يليقُ بِمُسلِمِ
إِنَّ الزِّنا دَينٌ فَإِن أَقرَضتَهُ كانَ الوَفا مِن أَهلِ بَيتِكَ فَاعلَمِ
يا هاتِكًا حُرَمَ الرِجالِ وقاطعًا سُبُلَ المودَّة عِشتَ غير مُكَرَّمِ
لو كُنتَ حُرًّا مِن سُلالَةِ ماجِدٍ ما كُنتَ هَتّاكًا لحُرمة مُسلِمِ
مَن يَزنِ يُزنَ بِهِ ولو بِجِدارِهِ إِن كُنتَ يا هذا لَبيبًا فَافهَمِ

❁❁❁

07|ـ تحمُّل المعاناة:

كانَ الجاحظ يبيعُ الخبزَ والسمك بالبصرة نهارًا، ويكتري دَكاكين الورَّاقين حتَّى يبيتَ فيها ليلًا للقراءة؛ فصارَ بعدَ مُعاناة البيع والاكْتراء، يُلقَّبُ بشيخِ الأُدباءِ!

من تحمَّلَ مُعاناةَ الحياة في الصغر، جَازتهُ الحياةُ بلقبٍ كبيرٍ عندَ الكِبَر؛ لأن من أرادَ الألقاب، فعليهِ بتحمُّل الصعاب.

❁❁❁

08|ـ استثمرْ شَبابكَ:

ليسَ العجبُ في كونِ ألبرت آينشتاين هوَ من اكْتشفَ نظرية «النسبيَّة» فقط، أيضًا في كونهِ قدْ اكْتشفهَا وهوَ ابنُ السَّادسة والعشرينَ يومئذٍ، لتعلم أنَّ استثمار الشباب ثروةٌ فكرية.



09|ـ لا تتأخَّر في التغيير:

مَثَل التغيير مَثَل العملية الجراحيَّة، متى تأخَّرنا في إجْرائها إلَّا تضاءلت فُرص نجاحهَا.. فبادرْ قبل أن تُغادرْ!



10|ـ لا تعمل لأجلِ النَّاس:

أخلِصْ في عملكَ، ولَا تدع ثناءَ النَّاس مَن يصنع شخصيتكَ.. عندما افْتخر الخزرج بزيدٍ بن ثابت لِمَا حَفِظَهُ من القرآن، لم يُفكِّر زيدٌ في رَفع رجليهِ عن الأرض، دومًا أولئكَ الذين يُخْلصونَ في أعمالهم لا يُغيِّرهم المديحُ!



10 || _ اجتنابُ مواقع المَعاصِي

إذا كان إيمانكَ من زُبدة، فاجتنبْ شمس الفتن!

من لا يخشى على نفسهِ الوُقوع في المُحرَّمات يقعُ فيهَا؛ لأن الخَشيةَ تَحولُ بينَ المرءِ وبين مَعصيةِ ربِّه، لكنَّ الخشيةَ أحيانًا وحدهَا لا تكفي؛ إذْ لابدَّ منَ العمل على اجتناب مَواقع المعاصِي. قيل للتَّابعي الرَّبيع بنُ خُثَيْم: يا ربيعُ، لِمَ لا تجلسُ في الطُّرقاتِ معَ الناس؟ قالَ: أنَا أَخشَى ألَّا أردَّ السلام، ولَا أَغضَّ بَصرِي!

فالرَّبيعُ لمْ يكتفِ بِمجرَّد الخَشية من عَدمِ ردِّ السَّلام، وعَدمِ غَضِّ البصر، بلْ عملَ على تركِ ذلكَ بتركِ الجُلوس على الطرقات.. وهذَا عينُ الصَّواب، فالعاقلُ لا يقتصِرُ على أعمالِ القُلوب فحَسب، وإنَّما يُزاوج بينهَا وبينَ أعمالِ الجَوارح، ذلكَ أنَّه لا فائدةَ من خشيةِ القُلوب، إن كانت بقية الأعضاء ترتكب الذنوب.



11 || _ علَّمتني قِصَّة يُوسُف

إذا كنتَ يوسفيَّ الإخلاص
لن تَضيركَ زُليخات الشهوة!

عندمَا تتأمَّل في قصَّة يُوسف، تُدرك جيِّدًا أنَّ هُناك فئةٌ منَ النَّاس يُكِنُّون لكَ الكُرهَ وليسَ ذلكَ لعيبٍ فيكَ، بقدرِ ما يكرهونَكَ لمَزيَّةٍ أَوْدعهَا اللهُ فيكَ ولم يُودِعهَا فِيهم.

هُناكَ كراهيَّة هيَ وليدةُ نَقصٍ في الكارهِ وليسَ في المكروه، وإلَّا فما ذَنبُ يوسُف إن وُلدَ جميلًا؟

ما ذنبُ يُوسُف إن وُلدَ رسُولًا؟

لا أحدَ يتصوَّرُ أنَّ يعقوبَ بمقدوره أن يُحبَّ أولادهُ حُبهُ ليوسُف، بمجرَّدِ أن يغيبَ يُوسفُ عن عينيه؛ لأنَّ هُناكَ أناسًا يغيبونَ عن النَّواظر، لكن لا يغيبونَ عن الخواطر.

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ الإنسانَ ككائنٍ، ليسَ بِالضرورة هُو إنسانٌ كمُواصفاتٍ، فمَا أكثَر الحيوانَات المُفترسَة في نُفوسٍ إنسانيَّة.

والإنسانُ الحقَّ من اتَّصفَ بالإنسانيَّة، ولمْ يكتفِ بجِنسيتهِ البَايْلُوجِيَّة.

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّه على الإنسانَ أَن يَحميَ ظهرهُ من أقربائهِ أشدَّ حمايةً له من أعدائهِ؛ إذْ لا أخطرَ من عدوٍّ في ثوبِ أخٍ.

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ الإنسانَ قدْ يسلمُ منَ الذِّئاب الضَّارية، لكنَّهُ لن يسلمَ من إِخوةٍ يَكيلونَ لهُ الحسَد، فالحسدُ لا يُبقي الإنسانَ إنسانًا، بل ينزعُ عنهُ ثوبَ الإنسانيَّة ويُلبسهُ ثوبَ الشَّيطانيَّة.

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ بدايةَ الأخطار، تكونُ من إذاعةِ الأسرار، ولوْ أنَّ كلَّ إنسانٍ سترَ مواهبَ اللهِ لهُ لأمنَ شرَّ الآخرين؛ إذْ لا يُلحقُ بكَ الضَّرر إلَّا من عرفَ عنكَ ما يضرَّكَ، ومتَى جهلَ العدوُّ طريقَ أذيَّتكَ، إلَّا دامتْ سَلامتُكَ.

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ النَّصيحة قد تأتي ممن يرجُو لكَ الخَير، وقدْ تكونُ ممن يرجُو لكَ الشَّر، والفائزُ من لا يُطبِّق نصائحَ الآخرينَ حتَّى يزِنهَا في ميزان العَواقب، وإلَّا فقدْ نصحَ إبليسُ آدم عليهِ السَّلام فقالَ: {يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} «طه: 120».

وقال إخوةُ يوسُفُ لأبيهم عن أخيهم: {وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} «يوسف: 11»، وقالُوا: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} «يوسف: 12»؛ لأنَّ

الأقوالَ وحدهَا لا تصنعُ الصِّدقَ، بلْ ينبغي أن تكونَ عن حُسنِ نِيَّة، أو عن عملٍ حَسَن.

۞۞۞

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ بعضَ الشَّر أهون منْ بعضٍ، فقدْ أنجاه أقلُّ إخوته شرًّا إذْ قال: {لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ} «يوسف: 10». وأنَّ على الإنسان أن يكونَ رحيمًا بإخوتهِ، حتَّى لو خَدمَتهُ القَسوة عَليهم.

۞۞۞

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ حديثَ الشَّخصِ عن مَخاوفهِ من شأنهِ أن يكونَ سَببًا في حُدوثِها، وكمْ من حَدَثٍ جاءَ نَتيجةَ حديثٍ؛ لذلك حَقيقٌ بالإنسانِ أن يكتمَ نقاطَ ضَعفهِ، لئلَّا تكونَ نقاطَ قُوَّة عدوِّه، فقدْ قالَ يعقوبُ: {وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} «يوسف: 13»، فاستعملَ أبناؤهُ مَخاوفَ أَبيهم حُجَّةً على موتِ أَخيهم، حينما قالوا: {فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} «يوسف: 17».

۞۞۞

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ المُجرمَ رغمَ حيلتهِ يتركُ أثرًا يدلُّ على جَريمتهِ، فلقدْ تَحايلوا بدمٍ كذبٍ على قميصِ يُوسُف، وغابَ عنهُم أن يُمزِّقوهُ، فأيُّ ذئبٍ رحيمٍ هذَا الَّذي يأكل اللحمَ من غير تمزيقِ القميص؟

هنا تعلم أنَّ الحقّ منصورٌ رغمَ كيدِ الكائِدين.

۞۞۞

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ الخيرَ والشرَّ لا يَكْمُنَانِ في الأشياءِ ذاتهَا، وإنَّما في طريقةِ استعمالِهَا، فالسِّكينُ الَّتي تُعينُ مُسلمًا على ذبحِ أُضحيتهِ، نفسُها السِّكينُ الَّتي تُزهقُ روحَ المُسلِمِ، والمُحسنُ من أحسنَ الاسْتعمال.

وكذلكَ هو الحالُ معَ قميصِ يوسف، فقدْ كانَ مرةً أداة كذب، وكان مرة دليل براءة، ومرة دواء!

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ الدُّنيا لا تُساوي عندَ اللهِ جَناحَ بَعوضة، ولوْ كانتِ الدُّنيَا دارَ نعيمٍ، لمَا بيعَ فيهَا يُوسفُ بدراهمَ معدودات، فبئسَ دارٌ تُباع وتُشترى فيها يا يُوسُف وأنتَ أجملُ إنسانٍ خلقهُ الله!

إيَّاكَ أن تظنَّ أنَّ العبدَ المقبولَ عندَ الله هُو العبدُ الَّذي لا يبتليهِ الله، فقدْ بِيعَ يُوسُف بدراهمَ معدودات وهُو أجملُ إنسانٍ خلقهُ الله!

❁❁❁

علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ الحُكمَ والعِلمَ يكونانِ منَ اللهِ: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} «يوسف: 22».

وأنَّ مدارسَ العلمِ ومُدرِّسوهُ ليسُوا إلَّا وسائلَ يُتوسَّطُ بهَا إلى العِلم، فالَّذي لمْ يُعلِّمهُ اللهُ لن تنفعهُ أرقى جامعاتُ العالم، ومن علَّمهُ اللهُ لن يُنقصَ من قدرهِ فَقْدُ الشَّهادات.



علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ النبيل لا يبصق في بئر شرب منهُ: {قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} «يوسف: 23»، فلمْ يُدنِّس سُمعتهُ بشهوةٍ زائفة، رَغمَ قُوَّة الطالبِ وضَعفِ المَطلوبُ منه.

فأكرمْ بكَ من رجلٍ! أثبتَّ أنَّ الظروفَ الحسنةَ لا تُغيِّرُ مَعدنَ المُتخلِّق، وأنتَ الَّذي كنتَ تُحسنُ لإخوتكَ صغيرًا، ثم ظَلَلْتَ تُحسنُ لخَدَمِ القَصرِ كبيرًا.



علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ الأصيلَ لا يظهرُ في زمنِ السَّلامةِ وإنَّما في زمنِ الفتنة، فرغمَ كونكَ كنتَ قادرًا على الخيانةِ لم تخن، ورغمَ كونكَ كنتَ قادرًا على التَّسليمِ لمْ تهُن.



علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ المعصوم مَن عصمه الله تعالى: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ} «يوسف: 33». فمَا لجأتَ إلى اللهِ إلَّا لعلمكَ أنَّه مُنقذكَ وإن ضعفتَ، ولستَ بقادرٍ على إنقاذِ نفسكَ وإن قويتَ ما لمْ تستعن بالله.

فمنكَ تعلَّمتُ أنَّ القوَّة للهِ وباللهِ ومنَ الله، ومن اعتمدَ على نفسهِ استكان.



علَّمتني قصَّة يُوسف أنَّ من كانَ مع اللهِ في الرَّخاءِ كانَ اللهُ معهُ في الشدَّة، فلمَّا حفِظتَ الله عندما غلَّقت عليكَ امرأة العزيزِ أبوابَ غُرفتها، حفظكَ اللهُ حينمَا زجَّت بكَ في السجن، فصارَ السجنُ قصرًا لكَ رغمَ قسوتهِ، وقدْ كانَ قبلهَا القصرُ سجنًا لكَ رغمَ نعيمه؛ لأنَّ نعيمَ الحياة لا يُدرك منَ الأماكن وإنَّما منَ الأحوال، وإلَّا فأنَّى لعزيزٍ أن يتنعَّم وهوَ عاص، وأنَّى لعبدٍ أن يَذِلَّ وهُو مُطيع؟

هُناكَ عباراتٌ سيِّئةٌ تسمعُهَا في اليومِ واللَّيلة، لا يعني بالضَّرورةِ أنَّها تصفُكَ وصفًا عادلًا، بقدرِ ما يُمكنُ أن تكونَ تنبيهًا لكَ لئلَّا تكونَ كمَا وُصفتَ، فرُبَّ تشبيهٍ لا يزيدُ عن كونهِ تنبيهًا، والعاقلُ من سعَى لإصلاحِ نفسهِ كلَّما اتُّهمَ بالفَساد، وإن كانَ بريئًا مِنه، فحينَما قالَ إخوةُ يوسُف إنه قدْ سرقَ منهُم أباهُم يعقوب، سَعى يُوسفُ أن يُثبتَ لهم أنَّه مُخطئونَ، فحدَّثَ إخوته أنَّهم في عينِ أبيهم مثلمَا هوَ في عينهِ، ونصح أباهُ بألَّا يميلَ إليهِ الميلَ كلَّهُ تفادِيًا لأذيَّة إخوتهِ؛ لأنَّ الاهتمامَ الزَّائدِ بشخصٍ ما كثيرًا ما يكونُ أذِيَّة للطرفِ الآخر، فكانتِ وَسطيَّة المشاعر سبيلٌ إلى تأمينِ المخاطر.

۞۞۞

علَّمتني قصَّة يُوسُف أنَّ الحسدَ لا ينبعُ من كوننَا لا نثقُ بالمحسود، بلْ لأنَّنا لا نثقُ بأنفُسنَا؛ لأن إخوةُ يُوسُف كانوا على يقينٍ أنه لن يُؤذِيهم.

عندمَا غلَّقت امرأةُ العزيزِ أبوابَ بيتها على يُوسُف، فتحَ اللهُ له أبوابَ السماء؛ لأن الله كانَ على عِلمٍ مُسبقٍ أنَّ يوسُف لمْ يكُن يُريدُ الفاحشَة معهَا، فأنجاهُ بنيَّة خيرٍ مَسبوقة.

لَا تُفرِّطْ في نيَّتك تُجاهَ ما تُريدهُ وما لا تُريده، فحُسنُ النوايَا مُخلِّصات.



12 || _ لأجلِ بُيوتٍ بلا أصوات

البيوت الهادئة لا تخلو من المشاكل
ولكن مشاكلها لا تزيد عن عتبة الباب!

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} «النساء: 01»، قال: {مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} ولم يقل: «من زوجين»؛ لأن الرجوع إلى واحدٍ لا يكون فيه نزاعٌ، بخلاف الرجوع إلى اثنين، فالإنسان رجلًا أو امرأة كلاهما من آدم.

لذلك خُصَّت القوامة بالرجل؛ لئلَّا تحدثُ فوضى في البيت الواحد.

فسُبحان من قوَّم قبل أن يخلق!

❁❁❁

(اسْتَوصُوا بِالنساءِ خَيرًا): مُخطئ من يعتقدُ أن «الشرَّ امرأة»، وقد علَّمنا النبي صلى الله عليه وسلم خيرية النساء.

(خَيرُكُم خَيرُكُم لأهلِهِ): حينما تُدركُ أنكَ راعٍ على أهلِكَ، احذر أن ترى أهلكَ قطيعًا من الغنم، وفرِّق بينَ الرَّعْي والرِّعاية!

❁❁❁

عندما يُصبَغُ الزواج بلون الملل، يُصبح مجرد اجتهاد لتطويل علاقة قصيرة؛ لذلك حاول قدر استطاعتك أن تكسر روتين العلاقة

بأشياء جديدة، مثلا: تناول العشاء مع أسرتك خارج البيت، نَظِّم مسابقة أسبوعية لأولادكَ..

مشاريع السعادة أطول من أن تُحصر، لكن العقول الَّتي لا تفكِّر بالجديد تسقط في حفرة الملل، ولذلك قالوا: «من لا يتقدَّم، يتقادَم»!

۞۞۞

سألتُ فتاةً كانت ضحية أُسرتها: ما هو الشيء الذي لا تُحِبِّينه في أُمكِ؟ قالت: إهمالها لأبي.

لتعلم كل زوجة أنَّ إهمالَها لزوجها لا يقتصر في ضرره عليه فقط، بل يتعدَّاه إلى أولاده، فإذا اجتهدتِ في الاهتمام به ولم تجدي طائلًا منه، استمرِّي في اهتمامكِ به لأجل أولادكِ، فإن كانت خيبة أملكِ في زوجكِ، حبَّذَا ألَّا تكون خيبة أولادكِ فيكِ!

(أَقِمْ معهَا، ولكَ أجرُ من شهدَ بدرًا وسَهمهُ): لمَّا مرضت السيِّدة رُقية تخلَّف سيُّدنا عثمان عن معركة بدر، ولكن النبي الله صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ له بسهمه من الغنيمة.

يا الله!

إنَّ المرأة لَتَحْبِسُ الرجل عن الجهاد إذا كانت في حاجة مَسِيسَةٍ له، ولو لم يكن من عظيم الاهتمام بالزوجة إلا هذا الحديث، لكفى الرجل أن يُقْدِمَ على خِدمتها غير مُتردد.

۞۞۞

لا لتخريب البيوت، أمسكوا ألسنتكم؛ فرُبَّ زانيةٍ في الجنة، ورُبَّ مُغتابٍ في النار!

۞۞۞

ما فائدة أن يكون جمالُ زوجتكَ كأمريكا، إذَا لم يكن لديكَ فُضول «كولومبس»!؟

جدِّد جمال زوجتكَ بتجديد النظر إليها، فإن السرَّ لا يكون في الوجه دائمًا، ما أكثر ما يكون في النظرة ذاتها!

۞۞۞

تقول الروائية المغربية فاتحة مرشيد: «لا توجد امرأة لا تشكُّ في زوجها»، في الحقيقة لا يتألم الرجل من شكوك امرأته دائمًا، لكن هناك حالات يتألم فيها الرجل نتيجة لتلك الأساليب الَّتي تأتي بناءً عن شكِّ زوجته به. الشك عندما يكون فكرة حبيسة الذهن في عقلٍ ناضجٍ فهو غير مُضرٍّ، المُضرُّ حقًّا أن يستحيل إلى تصرفات، وأمام التصرفات الَّتي تأتي نتيجة الشكوك ينهزم النضج؛ لذلك ينبغي التروِّي!

۞۞۞

«وراءَ كلِّ رجلٍ عَظيمٍ امْرأة»، هذا المقولة لا تُشرِّف المرأة فقط، وإنما هي بمثابة تكليف لها؛ أي: إذا لم يكن رجُلكِ عظيمًا، فهذا يعني أنكِ لستِ وراءهُ.



13 || _ أخطاءٌ أثناءَ حِواراتنَا

محاوركَ ليس خصمًا، فلا تُلاكِم بفمكَ!

01|_ انتظارُ أدوارنَا للحديث:

جُلُّ النَّاسِ أثناءَ الحِوار يستمعونَ إليكَ، لا لأنَّهم يُريدونَ الاستفادةَ منكَ، بلْ لأنَّهم يُريدونكَ أن تستمعَ إليهم كمَا استمعوا إليكَ، بصرفِ النَّظر عمَّا يقُولونهُ. حتَّى عبَّر أحدُهم عن ذلكَ بقولهِ: «لا أحد يستمع هذه الأيّام، هُم فقط ينتظرون دورهم للحديث».

02|_ الحقُّ ليسَ ميراثُ أبيكَ لكَ:

كثيرٌ منَ النَّاسِ عندمَا تُحاورهم، يسعونَ لإفهامكَ أنَّ: «الحقَّ لا يتجزَّأ». طيِّب لا أحدَ يختلفُ في أنَّ الحقَّ واحدٌ، لكن من قالَ إنَّ الحقَّ كلُّه عندكَ؟

الحقُّ الواحِدْ هُو الحقُّ الَّذي بينَنَا وبينَ غير المُسلمينَ، فلَا أحدَ يحقُّ لهُ أن يشكَّ أنَّ غيرَ المُسلمينَ قدْ يكونونَ على حقٍّ، لكن عندمَا يتعلَّقُ الأمرُ بالمسلمينَ بعضَهُم بعضًا، فلَا أحدَ يستطيعُ أن يُثبتَ قطعًا أنَّهُ على حقٍّ وأنَّ غيرهُ على باطلٍ.

كثيرٌ منَ العُلماءِ سَكتُوا عن فتنةِ الحربِ بينَ سيِّدنا عليّ بن أبي طالِب وبينَ سيِّدنا مُعاوية بن أبي سُفيان، لماذَا؟ لأنَّ كلَا الصَّحابيَين

جَليلين، والقولُ أنَّ أحدهُما على حقٍّ والآخرُ على باطلٍ قولٌ فيهِ تعدٍّ: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} «البقرة: 190».

وأضرُّ من ذلكَ كلِّهِ اعتقادُ البعض أنَّكَ حينما تخالفهم، كأنَّما خالفتَ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولَا حولَ ولَا قُوَّة إلَّا باللهِ:

العلم ذو كثرةٍ في الصحف منتشرٌ وأنت يا خِلُّ لم تستكمل الصُحفَا

لَا تعتقدْ أنَّ الحقَّ مِلكٌ لكَ، فقدْ يصِلنِي ما لا يصِلكَ.

لَا تعتقدْ أنَّ الحقَّ ميراثٌ أبيكَ لكَ، ولَا حظَّ لي فيهِ، فمفهُومنَا للحقِّ لا يعني بالضَّرورةِ مُرادَ اللهِ منهُ؛ لأنكَ قدْ تفهمُ الحقَّ على خلافِ مُرادِ الله، وهذَا بلَاءٌ حلَّ بأكثرِ النَّاس.

03|_ أتَّفقُ معكَ، أو لا أُحبُّكَ:

✓ كان الكميت بن زيد شيعيًّا وكانَ الطِّرِمَّاح بن عُدَي خارجيًّا، كان الأول يتعصب لأهل الشام وكان الثاني يتعصب لأهل الكوفة ومع ذلك كان بينهما من المحبة والعِشرة ما لا تجده في كثير من الناس.

اختلاف الأفكار لا يقتضي منه اختلاف المشاعر؛ لأنَّ الاختلاف الفكري ثراء، بينما الاختلاف الشعوري اضطراب.

✓ سألها: إلى أينَ أنتِ ذاهبة؟ قالت: أُفْ، أنتم لا تتغيَّرون، نفس العُقدة الذكورية، إلى أين ذهبتِ؟ ومن أين أتيتِ؟ تتدخلون في كل شيء، تحشرون أنوفكم في طريقة لِباسنا، وفِي كيفية مِشيتنا؟ وكأننا لا نأتي إلا بكارثة أينما حللنا.

كفاكم تشدُّدًا، فليسَ الدِّينُ هكذا. اتركونا في حالنا، أعطونا حُرّيتنا، دعونا نعيش حياتنَا.

قال لها بغضب: لعنَ اللهُ إبليسكَ، أخبريني إلى أينَ أنت ذاهبة عمَى اللهُ قلبكِ؟ هل نسيتَ أم ماذا؟ أنا سائق التاكسي، وأنتِ مَن أوقفني.

هُناكَ أناسٌ مُشكلتهم معَ أنفُسهم لا معَ الآخرين، وأخطاؤُهم في نظرتهم لنظرات الآخرين، لا في نظرات الآخرين أنفُسهم.

التعصُّب يُورثُ العمَى، ويُشوِّشُ العقلَ فيجعلهُ يُسيءُ فهم أسئلة الآخرين، على خلافِ الانفتاح، فإنه يُعلم تقبل الآخر رغم الاختلاف.

✓ لا تُسئ لغيركَ؛ لأن غيركَ أساءَ إليكَ، فرؤوسُ الناسِ ليست تحت قُبعة واحدة، فقدْ تكونُ على صواب، ولكن أسلوبكَ خاطئ.

✓ من أعمق ما على المحاور استيعابه، أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض، ولتكن غايته إنقاذه من جهله لا معاندته والتماشي معه في خطِّ التعصُّب.



14 || _ النجاح بالتدريج.. وليس دُفعة واحدة

دُهِشَتْ حَبَّة الحصى من عظمة الجبل
ولم تعلم أنَّه انطلق منها!

قبل كل شيء، في طريقكَ إلى التغيير يجب أن تُدرك أنَّ التغيير الناجح يبدأ من ممارسة الأشياء البسيطة، وليس بممارسة الأشياء العظيمة دفعة واحدة.

ثم اسمح لي أن أقول لكَ: إذا لم تُسهم في تقديم نفسكَ إلى الأمام، فأيقن أنَّكَ تتراجع للوراء؛ لذلك طوِّر نفسكَ عن طريق علاقاتكَ، جسمكَ، علمكَ، مواهبكَ.. تطوير نفسكَ واجبٌ عليكَ، فلا تعتقد أنَّكَ تقدِّم فضلًا لها.

إذا رأيتَ أنَّكَ لا تتطوَّر برغم محاولات سعيكَ في التطوير، فغيِّر محيطكَ، المحيط الذي لا يعمل على تطويركَ سيكون سببًا في توريطكَ.

لمَّا أحبَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة نَصَرته، ولمَّا أحبَّ مكَّة فُتحت له، حبُّنا للأشياء المحيطة بنا يدفعها إلى إمدادنا بالعطاء.

لا تقل: «هذه أشياء جامدة، فكيفَ تُمدِّنا بالعطاء؟!»، لا تتعامل مع الطبيعة على أنها جمادات، فالنبات ينمو، والحجر يُسبِّح، والصبح يتنفَّس، والأرض تتجدَّد، والثمار تنضج.. فكيفَ تقول أنها جمادات؟

لا تكن مثل الناس العادِيِّين تنظر إلى الأشياء من خلال مظاهرها، ولكن كن ثاقب النظر، وتوغَّل في جوهرها.

ألم تقرأ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حنَّ له جذع النخلة، وسلَّم عليه الحجر والشجر، وانشقَّ له القمر، ونبع الماء من يديه، وتكلَّمت معه ساق الشاة المسمومة؟!

إنَّها مخلوقات حيَّة مثلكَ، ولولا وجود الحياة فيها لتعفَّنتْ.

في علم التنمية البشريَّة لكل شيء طاقة، والطاقة تنتقل منَّا إلى الآخر، ومن الآخر إلينا، ومن هذه الطاقات ما يلي:

01|_ طاقة المكان:

إذا أحببتَ بيتكَ وجدتَ السَّكينة، وإذا أحببتَ مكان عملكَ وجدتَ الإبداع، وإذا أحببتَ مكتبكَ وجدتَ الأفكار، وإذا أحببتَ سريركَ وجدتَ الرَّاحة..

أيُّما مكان تتعلَّق به نتيجة طاقة إيجابيَّة، إلَّا ويُعطيكَ من نفسِ الطاقة، والعكس صحيح؛ لأنَّ المكان يؤثِّر في ذهنيَّة الإنسان.

02|_ طاقة الألوان:

إنَّ للألوان طاقة تؤثِّر على مشاعر الإنسان، ومنها ما يليق به أنْ يلبسه، ومنها ما لا يليق به ذلك! نذكر مِن ذلك على سبيل المثال لا الحَصر:

① **اللون الأحمر:** لقد جاء النهي الشديد عن لبس اللون الأحمر الخالص بالنسبة للرجال دون النساء، لحديث ابن عمر: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المفدّم). والمفدّم: هو المشبع بالحمرة.

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر.

وعن عمر أنه كان إذا رأى على الرجل ثوبا مُعَصْفَرًا جذبه وقال: (دعوا هذا للنساء).

وعن عبد الله بن عمرو قال: (مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل وعليه ثوبان أحمران، فسلَّم عليه فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم).

وقيل في السبب عن النهي عن لبس الأحمر للرجال أقوال منها:

- من أجل أنه لبس الكفار.
- من أجل أنه زي النساء، فهو راجع إلى الزجر عن التشبه بالنساء.
- من أجل الشهرة، أو خَرْمِ المروءة فيمنع حيث يقع ذلك.

② **أمَّا اللون الأسْود:** فأقلُّ فتنة من غيرهِ؛ ومن هنا استحبَّ للمرأة ارتداؤه دِرْءًا لافتتان الرجال بها. عن أم خالد بنت خالد أنها قالت: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال:

(مَن ترون أن نكسو هذه؟)، فسكت القوم. فقال: (ائتُوني بأم خالد)، فأتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: (أبلي وأخلقي)، ومعنى (أبلي وأخلقي) هو دعاء بطول البقاء للمخاطب؛ أي: أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلَق.

ومن البدع الباطلة المتعلّقة بهذا اللون: تعمّد لبسه عند المصائب، وفيه تشبّه بالنّصارى أيضا، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في (فتاوى إسلامية): «لبس السواد عند المصائب شعار باطل، لا أصل له، والإنسان عند المصيبة ينبغي أن يفعل ما جاء به الشرع فيقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أَجِرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها"؛ لأنه إذا قال ذلك بإيمان واحتساب فإن الله يأجره على ذلك ويبدله بخير منها».

③ **وأمَّا اللون الأبيضُ:** ذكر أهل العلم عند حديثهم عن اللباس أن أفضل الألوان هو اللون الأبيض، واستدلوا لذلك بحديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْبسوا من ثيابكم البياض، فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم).

وفي رواية: (البسوا من ثيابكم البياض فإنها أطهر وأطيب).

واللون الأبيض من الثياب التي يستحب أن يلبسها الأحياء، ويُكفَّن فيه الأموات.

وكذلك يستحب البياض في ثياب الإحرام للرجل وهي إزار ورداء.

④ **أمَّا اللون الأخضر:** فشائع عند الكثير من الناس أنه (لون الإسلام)، رغم أنه لا يوجد دليل شرعي لهذا الأمر.

وذهب بعضهم إلى أن اللون الأخضر من الألوان المفضلة المستحبة لبسها، واستدلوا لذلك بكونه تعالى وصف ثياب أهل الجنة: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} «الانسان: 21».

وبحديث أبي رمثة، قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردان أخضران)[5].

والأخضر لون الطبيعة.. وفيه راحة تحسُّ ولا توصف.

03|_ طاقة المشاعر:

لمَّا يكون الجنين في بطن أمِّه غير مرغوب بِهِ، فعادة ما تتوجَّع الحامل أضعاف توجُّعها حينما تنتظره بفارغ الصبر وملء الشوق.

وما من أمٍّ لا تحبُّ جنينها إلَّا صنعتْ فيه عقوقَه لها؛ لأنَّ المشاعر نقَّالة، ولا أحد يُحبُّ أن يرى نفسه غير محبوب.

---

5)_ صححه الألباني، راجع «رياض الصالحين» للإمام النووي، لمعرفة المزيد عن الملابس وألوانها المحمودة والمذمومة.

04ـ طاقة الأفكار:

لا تجلسْ مع شخصٍ عمره الزَّمني أصغر من عمره الفعلي؛ لأن العقول تنقلُ عَدوى حجمها إلى من تُخالطه.

تكلَّم عن مواضيع جديدة، تعرَّف على أصدقاء جدد، سافر إلى مكان لم يسبق لكَ أن زُرته، اقرأ كتابًا لا تعرفُ عنه شيئًا..

إذا لم تتغيَّر فأنتَ تصنع روتينًا لحياتكَ، وهذا الروتين هو من يُدخلكَ في دائرة الملل، أمَّا الذين يتغيَّرون باستمرار فلا يعرف الملل طريقًا إلى قلوبهم.

غيِّر من مكانكَ، غيِّر من طعامكَ، غيِّر من ملابسكَ.. حتَّى المحل الذي اعتدتَ الشراء منه جرِّب بين الفينة والأخرى أن تشتري من محلٍّ غيره.

لا تستهن بصغائر المتغيِّرات وأنتَ في طريقكَ إلى التطوُّر؛ لأن الأشياء العملاقة هي وليدة تفاصيل صغيرة، فالجبال هي بداية حصى، والأهرامات هي بداية صخرة، السُّور العظيم هو بداية جدار، وبرج إيفل هو بداية قطعة حديد..

سِر بمبدأ «أَدْوَمُهَا وإن قلَّ»، ابدأ بالأشياء الصغيرة واستمرَّ فيها، الأشياء الصغيرة مع الأشياء الصغيرة تصنع أشياء كبيرة.



15 || _ إلى كلِّ امرأة لمْ تتزوَّج بعدُ

دعوتُ لها: «رزقكِ الله حَجَّة»، فأمَّنت بصوتٍ خافت

غيَّرتُ الدعاء، فقلتُ: «زَوَّجكِ الله»

فَأَمَّنَتْ تأمينًا سمعهُ أهل الحي والسكان المجاورة.

لـمَّا سألوها:

_ لـماذا تزوَّجتِ؟

أجابتهم:

_ لستُ أنا من تزوَّج، بل هم من زوَّجوني، فرضوه عليَّ فرضًا، وحاولوا إقناعي أنَّ أمي لـن ترتاح في قبرها حتى أزفَّ عروسًا، وهكذا وَجَدْتُني مع رجل غريب في غرفة مضاءة ضوءًا خافتًا، مغلقة الباب والنافذة!

مؤسف أنْ نُزوِّج بناتنا إلى مَن لا رغبة لهنَّ بالزواج بهنَّ، ونعتقد في أنفسنا أنَّنا حقَّقنا إنجازًا، وأسهمنا في بناء أسرة، ونغفل عن الجانب الآخر للإكراه، ونغضُّ الطرف عن التَّبِعات السوداوية التي قد يُخلِّفها مثل هذا التزويج القسري!

مؤسف ألَّا نفرِّق بين التسريع في التزويج وبين التسرُّع فيه!

نعلم جميعًا ما للزواج مِن فضل على العزوبة، كيف لا؟ والله تعالى يقول في مُحكم كتابه العزيز في معرض الحديث عن خيرات الجنَّة: {لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} «النساء: 57»!

إنَّ من أهمِّ ما يُجازي الله تعالى به أصحاب الجنة، أن يُعطي لكل منهم نصيبه من الزوج الطاهر، ذلكَ أنَّ النعيم كلَّ النعيم لا يُمكن أن يُتصوَّر بعيدًا عن الطرف الآخر، فأعجبُ لمن يُريد جنة الدنيا وهو يتأخَّر عن الزواج!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج)، مجرد الاستطاعة تُسقط كلَّ المعاذير الَّتي نتحجَّج بها على تركِ الزواج، سواءً كانت هذه المعاذير ذكورية المصدر أم أنثويَّة.

لكن.. ولأنَّ النص موجَّه لتاء التأنيث يطيبُ لي تذكير المرأة بهذه النقاط النفيسة، فإنَّ في الذكرى أجر للمُذَكِّر، ومنفعة للمتَذَكِّر.

بُنيَّتي!

لا تتزوَّجي هربًا من أسرتكِ، فالحلول الَّتي تأتي نتيجة الهروب قاتلة، ولكن تزوَّجي تعبُّدًا لله تعالى، وقُربة منه.

أن لا يتقدم إليك رجلٌ ما لخطبتك، هذه ليست مشكلة يُمكن التضايق منها، ربـما أن الأحلام التي لـم تتحقق لنا بعد، ليست جميلة كما نعتقد..

عجِّلي بزواجكِ قدر استطاعتكِ، ولا تأخذي وقتًا في التَّعارف معهُ فيحدثُ ما لا تُحمد نهايته، ولا أحد يأمن سقوطه في مستنقع الشهوات وإن كان قدِّيسًا.

ومثل ذلك مِنَ المرأة، فلا توجد امرأة يمكن أن تضبط عفَّتها وهي تحوم حول حمى الفواحش؛ لذلكَ لا تفتحي له كلُّ النوافذ ثم تقولي له: {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهَا} «البقرة: 189».

تزوَّجيه بعيدًا عن التصنيفات المرئيَّة، والأُبَّهات المظهريَّة، فهذا الزواج إنَّما جعله الله للسَّكَن الروحي، وليس للتفاخر المظهري: {وَمِن آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} «الروم: 21».

تزوَّجيهِ فقيرًا كريمًا ولَا تتزوَّجيهِ غنيًا بخيلًا، فاللهُ يُغني الفقيرَ لكرمهِ، ويُفقرُ الغنيَّ لبُخلهِ.

تزوَّجيهِ يخافُ الله فيكِ ولا تتزوَّجيهِ يخافُ الآخرينَ بسببكِ، فمن يخافُ الله لا يُؤذيكِ، ومن يخافُ الآخرينَ غيرُ مأمونٍ.

تزوَّجيهِ رجلًا وإن قلَّت ذاتُ يدهِ، ولا تتزوَّجيهِ قليلَ رُجولةٍ وإن كثرت أياديهِ، فالرُّجولة أخلاقٌ قد لا تُكتسب، والمالُ يُكتسبُ بعدَ قلتهِ.

تزوَّجيهِ رجلًا مُستحٍ وإن رآهُ النَّاسُ جريئًا، ولا تتزوَّجيهِ رجلًا خائنًا وإن رآهُ النَّاسُ بريئًا.

مسألة الزواج لا تحتاج رأيا محايدًا، بقدر ما تحتاج رأيا صائبًا، ومن الخطأ أن تُزَوَّج الفتاة لرجل لا رأي لها فيه، فضلًا عن رغبتها به.

الزواج الناجح عادة يُبنى على أرضية ثُنائية، فإن تدخَّلت أطراف أخرى تطرَّف إلى منعطف آخر مخيِّب للأمل كسقوط جنين قُبيل ولادته بأسابيع قليلة!

لذلك لا تستسلمي لزواج لا تريدينه، المشاريع العاطفية عندما تصادم إرادتنا تفشل!

ومن باب الأمانة العلميَّة أحبُّ تنويه المرأة ببعض المسائل الفقهيَّة الَّتي يتحرَّج البعض من طرحها، ولا يليق بالمرأة جهلها، وهِي:

يجوز للمرأة ردُّ الخاطب إذا كان فقيرًا، ولا إثم عليها.

يجوز للمرأة ردُّ الخاطب إذا كان أدنى منها تعليمًا وثقافة، ولا إثم عليها.

يجوز للمرأة ردُّ الخاطب بسبب نسبه أو قبيلته أو جنسيته، ولا إثم عليها.

يجوز للمرأة ردُّ الخاطب بسبب خَلقه من قِصَرٍ أو طُولٍ أو أيَّ سببٍ ظاهري آخر، ولا إثم عليها، فالزواج في الإسلام ليس عبوديَّة للمرأة، ولا هُوَ جَعْلُ المرأة ملكيَّة خاصَّة للرجل يتصرَّف بها كما

يتصرَّف صاحب المتاع بمتاعه، وإنما هي كتلة من المشاعر، ينبغي مشاركتها في كل صغيرة وكبيرة.

لكن ومع هذا، فإنَّه لا يجوز للمرأة التَّرَهْبُنُ بحجَّة أنَّ شروطها لم تتحقَّق بعد، فبعض الشروط ليست إلَّا حوائل يضعها الشيطان في طريق المرأة كي لا تُخرج نفسها من قفصِ العزوبة، إلى سماء الزواج.

وليس من ذكاء المرأة أن ترتبط بالعزوبة كأنَّها نعيم مطلق، وإنَّما الذكاء أن تضربَ في كلِّ غنيمة بسَهم، فتعيش عزوبتها خيرَ عِيشةٍ، وتعيش زواجها خيرَ عِيشةٍ، ولا يكن دأبها كالَّتي إذا بقيتْ عازبًا تذمَّرتْ، وإذا تزوَّجت ندمتْ.



16 || _ المُبالغة في التَّصديق

مِن كثرة ما أنقذه الماء مِنَ الموتِ عطشًا
ظنَّ النهر بلا تماسيح!

ما كانت المُبالغةُ في شيءٍ إلَّا شانتهُ، وما كانَ التَّوسُّطُ في شيءٍ إلَّا زانهُ.. فخليقٌ بالإنسانِ أن يقُولَ ويعدِل في قولهِ: {وإذَا قُلتُمْ فَاعْدِلُوا} «الأنعام: 152»، وخليقٌ بالإنسانِ أن لا تكونَ لديهِ ذهنيَّة تتشرَّبُ كلَّ مسموعٍ؛ إذْ ليسَ كلُّ ما يُسمعُ يُصدَّق، ولَا كلُّ ما يُقالُ مُحقَّق.

ولَا أخطرَ بالإنسانِ من أن يعيشَ حياتهُ مُصدِّقًا لمفاهيمَ مغلوطةٍ، وكانَ أحرى بهِ أن يتثبَّت قبلَ تصْديقهَا.. وعندمَا نسمعُ أهلَ العِلمِ يُحذِّروننَا من عدمِ سُرعةِ التَّصديقِ، فلَا يعني ذلكَ البتة أنَّهم يُعلِّموننَا التَّشكيكَ في كلِّ شيءٍ، كلَا بلْ إنَّهم يُعلِّموننَا دِقَّة التَّحرِّي.

سألَ رجلٌ يتكلَّف الورعَ عمرُو بنُ قيسٍ فقالَ: يا شيخُ، زَعَمُوا أنَّ الحَصاةَ إذَا أُخْرِجَت مِنَ المَسجد فَإنّها تَصِيحُ حتَّى تَعودَ إليهِ؟ فقال عمرو بن قيسٍ: دَعْهَا تَصيحُ حتَّى يَنشَقَّ حَلْقُهَا. فقال الرَّجل: سُبحانَ اللهِ ولَها حَلْقٌ؟ فقالَ عمرو: فَمِن أينَ تَصِيْحُ إذًا؟ فعجبًا لهذَا السَّائلَ صدَّقَ أنَّ الحَصاةَ تَصيحُ، ولمْ يُصدِّق أنَّ لهَا حَلْقٌ تصيحُ منهُ، رغمَ أنَّ هذَا الصياحَ من ذاكَ الحَلْقِ!

ولكن سُرعانَ ما نفهمُ أنَّ هُناكَ فئةٌ منَ النَّاسِ لديهم قابليَّة تصديقِ ما يخدمُ أهواءهم، رغمَ أنَّ عقولهم ربَّما أبت تصديقَ ذلكَ.

ولعلنا نستفيدُ من هذهِ القِصَّة، أنَّ الإنسانَ غيرُ مُلزمٍ بأن يُصدِّقَ كلَّ شيءٍ، لاسيَّما تلكمُ القَصص الَّتي تُثيرُ الشكَّ أكثرَ ممَّا تصنعُ لهَا جوًّا منَ الصِّدقِ.



17 || _ فقهُ الأولويات

الكون مخلوق على سُنَّة التفاضل
فلا تُنفق عمركَ في حفر الآبار، وأنتَ تسكن بقرب النيل!
اقفز للمهمِّ قبل الأهم!

من عاشَ حياتهُ بلا فقهٍ للأولويات، ضيَّع الكثير من الضروريات، فلا تخلطْ ترتيب أولوياتكَ، حتَّى لا تُصاب باليأسِ عند أدائهَا. كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعتكفُ العشرَ الأواخر من رمضانَ في المسجدِ رغم كثرةِ زوجاته؛ لأن القلب الذي تعلَّق بالله لا تصرفهُ عن الله مُغرياتُ الدنيَا.

عليكَ أن تُدركَ أنَّ الأعمال كثيرة والأوقات قليلة، فتخيَّر من الأعمال أَفضلها، واتركْ أقلَّها فضلًا إلى حين الفراغ من المُهمَّات، وسترى عجبًا! كان الأستاذ حسن البنَّا -رحمه الله- يضع فوق مكتبه لوحة كتب عليه: (الواجبات أكثر من الأوقات، فإنْ كانت لكَ حاجة فأوجز في طلبها). من كتاب: «بين الآباء والأبناء تجارب واقعية».

طبعًا مع معرفة قيمة الوقت، ذلك أنَّ من حسنات معرفة شرف الوقت، أنَّها تُمكِّن الإنسان من تقديمِ الأفضل فالأفضل.

ولأنَّ هناكَ أهدافٌ مُهمَّة وأُخرى أكثر أهمية منها، لا تُفرغْ جهدكَ في المهمِّ وتترك الأهمَّ، فإنَّ ذلك من سوءِ فقهِ الأولويات. ألَّف الشيخ يوسُف القرضاوي كتابًا مُستقلًا سمَّاهُ: «فقهُ الأولوياتِ»؛ لأنه مطلبٌ مُهمٌ في حياة كلِّ إنسان، إنَّه لا يجعلُ حياتكَ مُنظَّمةً فحسب، بقدر ما يجعلكَ تُعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقهُ؛ إذْ ليسَ من المعقول أن يهدفَ الإنسان إلى بناءِ مسجد، وهو لا يؤدِّي الصلاة.. وليس من المعقول أن يهدفَ الإنسان إلى الصَّدقة، وهو مُضيِّعٌ لحق الزكاة.

هناك أولويات وهناك فقه، وجود أولويات أمر مُهمٌّ، لكن فقه هذهِ الأولويات أمرٌ أكثرُ أهمية؛ لأنَّهُ منَ المُشينِ أن تتطلَّعَ المرأةُ للطهيِ في واقعٍ يعُجُّ بالحرب، أو أن تتطلَّع للحربِ في واقعٍ مُمتلئ بالجُوع، علينَا أن نُكوِّنَ أنفسنَا وَفق ما يحتاجهُ الواقع، لا أن نصنعَ واقعًا لنَا مُنعزلًا عن الواقع الحقيقيِّ الَّذي نعيشُ فيه.

كن ما تُريد، لكن وَفق ما يحتاجهُ واقعكَ.



18 || _ لا لتَحجيمِ الذُّنوب

فتران المعاصي يجعلها إبليس جبالًا في عينيكَ من أجل أن تيأس من التوبة!

لَا تعتقد أنَّ ذُنوبكَ أكبر من رحمة الله تعالى بكَ، فرُبَّما عصيتهُ ليُوفِّقكَ إلى رحمتهِ ليسَ إلَّا.. قال تعالى: {وَمَن يَقْنَطْ مِن رَحْمَةِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الضَّالُونَ} «الحجر: 56»، لا تجمعْ بينَ ذُنوبكَ وبينَ يأسكَ من رحمتهِ؛ لأنهُ لا ذنبَ أكبرَ من أن ييأسَ المُؤمنُ من مغفرةِ الله تعالى لذُنوبه.

وأيًّا مَا كانت ذُنوبكَ، أيقِن أنَّ مغفرةَ اللهِ تعالى أوسعُ منهَا:

لا تيأسنَّ لبابٍ سُدَّ في طلبٍ فالله يفتح بعد البابِ أبوابا

اجعل شعاركَ الدائم: «لا ذنبَ بعد التوبة»، فإذا أذنبتَ ولابدَّ من ذلكَ فاجْعل شعاركَ: «لا يأسَ بعدَ الذنب».

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا علي أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} «الزمر: 53»: اعلم أنَّ وظيفةَ إبليس لا تقتصرُ على إدخالكَ في مُستنقعِ المعاصي، أيضًا على اليأسِ من مغفرة اللهِ تعالى لكَ بعدَ دُخولكَ فيها.

واللهُ تعالى نهانَا عن القُنوطِ من رحمتهِ، فلا تعتقدْ للحظةٍ أنَّ ذنوبكَ وإن بلغت عَنانَ السماء تُعجزُ رَبَّ السماءِ عن مَغفرتها؛ لأنَّ الله تعالى لا ينظرُ إلى معاصيكَ، ويُهمل حُسنَ ظنَّكَ بهِ لمغفرتها.

لذلكَ إذا خسرتَ المعركة معَ إبليس وكانَ لابدَّ من ارتكابِ المعصية، اغْلبهُ في ألَّا يجعلكَ تنزعُ رحمةَ اللهِ من قلبكَ، فليسَ المحظوظ من لا يرتكبُ المعاصِي فحسب، أيضًا من لا يقنطُ من رحمة اللهِ تعالى بعدَ ارْتكابها.

تعلَّم من آدم، فقد أذنبَ في الجنَّة، وإلى ذلكَ لم ييأس من توبةِ اللهِ تعالى لهُ، ولولَا حُسنُ ظنِّ آدم بربِّه لما وفَّقه الله تعالى للتوبة: {فَتَلَقَّى آَدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} «البقرة: 37».

فتأمَّل -يا رعاكَ الله-:

سيُّدنا آدم لم ييأس من مغفرة الله تعالى، بل لجأ إلى طلب المغفرة منهُ.. اللُّجوءُ إليهِ خلاص، فلَا تُهلك نفسكَ بالإعراضِ عنه.

قالَ: {فَتَلَقَّى آَدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} هيَ مجرَّد {كَلِمَاتٍ} تلقَّاها آدم من ربه، ولم يُكلِّفه الله تعالى أشياءَ عظيمة؛ لأن الله تعالى رأى في قلبِ آدم أنَّ الله تعالى أكبرُ من أن يراهُ داعيًا ويردَّ يديهِ صِفرًا.

انظر إلى ربَّكَ نظرةَ آدم لهُ، تابَ إليه فتابَ عليهِ، فكانَ أن نالَ الجنة بعد توبتهِ، وما أكثرَ الذينَ خسروا الجنة بفعل تركِ توبتهم، فإيَّاكَ

إيَّاك أن يمنعكَ اليأسُ عن الجنَّة! فجنَّة ربكَ أوسعَ من ذنوبِ الناسِ أجمعين، فكيفَ بذنبكَ أنتَ وحدكَ؟

التوبة ليسَت بالأمرِ الصعب ولا بالأمر المُستحيل، فلا صعبَ ولا مُستحيلَ أمامَ من خلقَ الصعبَ والمُستحيل.

هيَ فقط مجرَّد {كَلِمَاتٍ} قيلت من آدم ثمَّ تحقَّقت: {فَتَابَ عَلَيْهِ}، تذكَّر هذا جيِّدًا: بين المعصية والتوبة مجرَّد كلمات.

ختمَ اللهُ تعالى الآية بقوله: {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

فأوكدَ مغفرتهُ للعبادِ فقالَ: {إِنَّهُ}.

وأوكدهَا بالضمير فقال: {هُوَ}.

وأوكدها بالتعريف فقالَ: {التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

كلُّ هذه التوكيدات، ثمَّ يكونُ لكَ شكٌّ في مغفرتهِ لكَ؟

تعلَّم يا صغيري أنَك تتعاملُ معَ الله تعالى وليسَ معَ عباده، ولو أنَّ ذنوبكَ بلغت في حجمها حجمَ الدنيا، لما ساوَت عندَ الله تعالى جناحَ بعُوضة.



19 || _ آدابُ التَّعاملُ معَ الفيسبُوك

الفيسبوك ليس موقع للترفيه، فوقتكَ ثمين
وليس موقعًا افتراضيًّا، فسيِّئاتكَ فيه حقيقيَّة!

✓ كما أنَّ للناس بيوتًا ينبغي الاستئذان قبل دخولها، كذلك حساباتهم.

✓ كلمةُ «أَعجبني» تَعنِي أنَا مُعجبٌ بمَا نَشرته، وليسَ أنَا مُعجبٌ بكَ.

✓ الفيسُبوك فضاءٌ لِلتعارف وليسَ مَنزلٌ لِلعيشِ فيه، فلَا تَقْضِ سَحابةَ يومكَ على صَفحة وَهميَّة.

✓ أن تطلبَ صداقةَ أحدهم، لا يعني بالضرورة أنَّكَ تريدُ أن تُكلِّمه على الخَّاص، قدْ يَعني فقطْ أنَّكَ تُريد الاسْتفادة من منشوراتهِ، أوْ تُريده أن يَستفيد من منشوراتكَ.

أن أطلبَ صداقتكَ لا يعني بِالضرورة أن أُحادثكَ على الخاص، فالخاصُّ لِلخواص والعَامُّ لِلعوام. وكمَا أنكَ ترَى أنَّ التحدثَ على الخاصِّ أمرٌ عَاديّ، فلَا جرمَ عليَّ إن رأيتُ غيرَ رُؤيتكَ، فاخْتلافُ الرؤَى ثراءٌ، وليسَ تخلُّفٌ.

✓ يَجبُ أن نكونَ أَخلاقيينَ في منشوراتنَا، فليسَ في قَائمة أَصدقائكَ من اعتدتَ على كسر روتين الحديث معهم فقط، بلْ إنَّ هُناكَ الأب والابن، الأم والبنت، الأستاذُ والتلميذ..

✓ الفيسبوك مَنبرٌ من مَنابرِ الدَّعوة، لا تُعطهِ من وقتكَ إذَا لمْ تَشعرْ بأنَّكَ قدْ تنفعُ به نفسكَ، أو تنفع به غيركَ.

✓ لا تتدَّخلْ في مناشير أحد، إن وسعكَ أن تنصحهُ على الخاص فبِهَا ونعمة، وإلَّا فلا تَرضى بِصداقته.

✓ ليسَ كلُّ من يَنشرُ منشوراتٍ دِينيَّة على حَظٍّ وَفيرٍ منَ الدِّينَ، كثيرًا مَا نَنصحُ الآخرينَ بمَا لا نفعلهُ نحنُ، وليس ذلك لأننا مُنافقون، ولكنَّ الدِّينَ النصيحة، وكما أنَّه من السيء أن لا نفعلَ مَا نَقوله، فَأسوأُ من ذلكَ أن لا نسعى لِنصح الآخرينَ بمَا لا نَفعله.

✓ أثناءَ تَعاملكَ معَ صَديقِ الفيسبوك لا تَصنعْ لِنفسكَ حُريةً قدْ تَضرُّ بهَا حُريةَ صَديقكَ، فإنَّ هُناكَ على صَفحتهِ من يَستحِي مِنهم، وإذَا كنَّا قدْ أَغضبنَا الَّذينَ أَنزلناهمُ مَنازلهم، فَليعلمُوا أيضًا أننَا لمْ نعدْ نَتحمَّلُ مَهازلهم.

✓ قبلَ نشر المنشور، اسْتحضرْ أُولئك الَّذين درَّسوك، من غير الأدبِ أن تَنشرَ منشورا يَكسرُ الاحْترامُ بَينكَ وبينَ أُستاذكَ، لاسيَّما إن كانَ الأُستاذُ مُتابعًا لكَ.

لَا تَجعلْ أُستاذكَ يَشعرُ بِخيبةِ أَملٍ فِيكَ، وقدْ دَرَّسكَ سِنينًا طَويلةً.. وأنَا لا أَقصدُ الخشية منَ الأُستاذ؛ لأن الله تعالى أَحقُّ أنْ يُخشَى، ولكن المَسألةَ مَسألةُ احْترامٍ لا أكثر.

✓ «أَعجبنِي»: الياءُ تعودُ لِلمنشور، وليسَ للناشر.

«أحببتهُ»: الهاءُ تعودُ لِلمنشور، وليسَ لِلناشر.

لا تكونُوا عَاطفين زِيادةً، حتَّى لا تَظلمُوا قُلوبكم البَريئة! حَافظُوا على تلكَ المُضغة، ولَا تَدعُوا النفسَ الأمَّارة بِالسوء تُسوِّل لكم قِراءةً عَكْسيَّةً لِلمنشور، أوْ نظرةً مُخالفةً لِلتعليق؛ فالتَّعليق: هوَ إِبداءُ رأيٍ، وليسَ تعلَّقًا بكَ.

✓ أولئكَ الَّذينَ يَمضونَ سَاعاتٍ طَويلةً أمامَ الفيسبُوك فَاشلونَ حقًّا، حتَّى لوْ أنَّ كلَّ منشوراتهمُ لا تتحدَّث إلَّا عن النَّجاح؛ لأنَّ النَّجاحَ الحَقيقيّ يكونُ على الوَاقع، وليسَ في الافْتراض.

✓ لنُسقط تَعاملاتنَا الفَيسبوكيَّة على تعاملاتنَا الواقعيَّة، فلْنقلْ لكلِّ من أدَّى عَملًا يُشكرُ «أَحببتهُ»، ولنقل لكلِّ من قالَ كلمةً طيِّبةً «أَعجبنِي».

لِنقمْ بِمُشاركةِ الآخرينَ في حَياتنَا، مِثلمَا نُشاركُ صَفحاتهم على صَفحاتنَا، فَالحياةُ الوَاقعيَّة أولَى بالاهْتمامِ من صَفحةِ افْتراضيَّة.

✓ هُناكَ أشخاصٌ لا تُعجبهُم كلماتكَ لأنكَ لا تُعجبُهم، مثلَ هؤلاءِ لا تُعطهم مُتسعًا من الوَقت، فليسَ كلّ من لا تُعجبهُ كلماتكَ يعني أنَّكَ على خَطأ؛ إذْ مَا أكثرَ الَّذينَ لا يُعجبهم مَا يستحقُّ الإعجاب.

✓ قدْ يُشيرُ شَابٌ في منشورهِ إلَى سَيِّدة مُتزوِّجة، فَتكونُ تلكَ الإشارةُ سببًا في طَلاقهَا؟ لَا تقلْ: هذهِ مُبالغة، بلْ فكِّر معِي: ماذَا لوْ

كانَ زوج هذهِ السيِّدة شَخصٌ يقرأُ الأمور بالنقص؟! سؤال يستحقُّ أنْ تطرحه على نفسكَ!

✓ أنشر منشوركَ ولا تتذمَّر مِن قلَّة المعجبين، فإنَّ الحق أتباعه قلائل، قال سفيان الثوري: (العالِم لا يماري ولا يداري، ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله).

✓ قد لا يعلم أحد جنسية المواضيع التي تتناولها في دَرْدَشَاتِكَ، لكن أيقن يقينا خاليًا من الشك أنَّ اللهَ تعالى يعلمُ ما في (المسنجر)، فالسرَّ عند اللهِ علانيَّة!

✓ من الذكاء "الفيسبوكي" أنْ تُتابعَ مَن يُفيدُك، وكم في الزوايا من خبايا؛ تعثرُ مصادفةً على حسابٍ ماتعٍ نافعٍ يسرقُك الوقت وأنت في جنّتِه، وتغادرُه داعيًا له فرِحًا باصطيادِه!

✓ مَثَلُ هذه الحسابات الفيسبوكية مَثَلُ الكتب، ومَثَلُ حسابكَ مَثَلُ المكتبة.. مِن سوء التصرُّف أنْ تحرمهُ مِن كتب الدكتور (كريم بكَّار) وتملأه بكتب (باولو كويلو)!

انتقِ أصدقاء حسابكَ كما تنتقي كتبَ مكتبتكَ!



20 || _ نظِّم وقتكَ

عندما تنظِّم وقتكَ، سيُبارَكَ لكَ فيهِ
وتُنجز في أوقات قصيرة أعمالًا كبيرة
ببركة الوقت سيعتقد الآخرون أنَّكَ تعيش أكثر من 24 ساعة!

قرأت في ترجمة الإمام العلامة الحجة المتقن شمس الدين أبوالوفاء الأصبهاني أنه كان يمتنع عن الطعام في كثير من الأوقات؛ لئلا يحتاج إلى الدخول إلى الخلاء خوفًا من ضياع الزمان بلا قراءة!

أضرابُ هذا التفكير لاستثمار الوقت نحن اليوم أحوج ما نكون إليه، نُريد الزهد في بعض الثانويات من أجل تحصيل الضروريات، فلا تأكل في كلِّ وقت، ولا تنم أكثر ممَّا ترتاح، ولا تنتظر من غير أن تطالع.. وهلمَّ جرًّا.

أنتَ ابن أيَّام، وإذا مضى منكَ يومٌ فقد مضى من قوَّتكَ إلى ضعفكَ، ومن شبابكَ إلى هرمكَ، ذلك أنَّ الشباب قوَّة والهرم ضعف، فإذا لم تنشطْ في وقت القوَّة، فأنتَ في وقت الضعف أعجز! قال الإمام حسن البنَّا: «من عرف حقَّ الوقت، فقد أدرك قيمة الحياة»، أو كما قال: «إنَّما الوقت هو الحياة»، يُخالف بذلك قول الماديِّين: «الوقت من ذهب».

الوقت ليس من ذهب، وإنَّما هو أنفس منه؛ لأنَّ الذهب يُستردُّ بعد ضياعه، ويُشترى من الباعة، بينما الوقت لا يُستردُّ ولا يُشترى!

لَا تعتقِد دائِمًا أنَّ المُستقبَل يتَّسعُ لتحقيقِ أحلامِكَ، كلُّ يومٍ تعيشهُ يزدادُ فيهِ ضيقُ وقتكَ وتكثُر فيهِ أشْغالكَ؛ لذلك ثقْ أنَّ الوقتَ المُناسب لفعلِ ما تَطمحُ إليهِ، هوَ الوقتُ الَّذي بينَ يديكَ.

الكثير منَ النَّاس وعَدوا أنفُسهم بحفظِ كِتابِ اللهِ حينَمَا يكبَرون، ولمَّا كبِروا لمْ يجدوا وقتًا لفتحِ المُصحف، فبادِر الآن، وابدأ بدايةً جديدةً.

وقبل ذلك، مُرْ على هذه النقاط الجوهريَّة:

✍ ابدَأ بتنظيمِ وقتكَ، خصِّص وقتًا لتحصيلَ عِلمٍ منَ العلوم، أو حفظِ فنٍّ منَ الفُنون، ثمَّ قَيِّم نفسكَ كلَّ يومِ جُمعةٍ.

اسْأل نفسكَ: علامَ تحصَّلتَ في أُسبوعكَ هذَا؟

لنفرِضْ أنَّكَ حفِظتَ كلَّ يومٍ ثلاثةَ أبياتٍ منَ الشِّعرِ، هلْ تعلم أنَّك ستحفظُ في شهرٍ تسعينَ بيتًا؟

لنفرِضْ أنَّكَ تحفظُ في أسبوعٍ رُبعَ حِزبٍ منَ القُرآن، هلْ تعلم أنَّكَ ستحفظُ في شهرٍ حزبًا كاملًا؟ ممَّا يعني أنَّك ستحفظُ في عامٍ خُمس القُرآن.

إنَّ تطبيقَ فكرةَ «فَرِّقْ تَسُدْ» في دربِ تلقِّي العِلم، ستأتي بأُكُلهَا لا مَحال.

✍ عليكَ أن تُجزِّئ طِوالَ العُلومِ لتُذَلِّلَ على نفسِكَ صِعابها، ويتأتَّى لكَ التَّحصيل النَّافع، والوقت كالسيف علينا ألَّا نترك له الوقت لقطعنا، والشباب كالعقرب الصغير للساعة، يبدو لك من سُكونه أنه لا يتحرَّك، ولكنه يدور دائرة الساعة كلها.

✍ خيرُ ما يُسهِّل على المرء تنظيم وقته أن ينام باكرًا ويستيقظَ باكرًا.

وأن يُقلِّل الطعام لئلَّا تثقل بطنه فيَكسل على الهمَّة.

وأن يُديم النظر في قراءة المكتوبات المحفِّزة، ومشاهدة المرئيات الدافعة، فإنَّ ما نقرؤه ونسمعهُ ينعكسُ على تصرُّفاتنا.

كن قريبًا من الكتب التي تتحدَّث عن قيمة الوقت، وسمَّاعًا للمحاضرات التي تتناول الوقت وحيثياته.

✍ قد تُنجزُ في عمر قصير ما يعجز عن إنجازه غيركَ في عمر مَديد، لو أنكَ عملتَ على إيجاد طريقة لتنظيم وقتكَ؛ تنظيم الوقت معناه إضافة وقت إلى وقتكَ.



21 || _ ضعْ بصمتكَ

إذا عشتَ ولم تتركْ بصمة
فأقرب الظنِّ أنكَ ستترك وصمة!

يعترفُ التاريخُ بالفضلِ لأولئكَ الأبطال؛ لأنهم فعلًا عاشُوا حياةً تستحقُ أن يُخلَّد فيها ذِكرهم بعدَ موتهم.

✓ ذاعَ صيتُ الفيزيائي الألمانيّ ألبرت آينشتاين بسببِ نَظريتهِ «النِّسبيَّة»، الَّتي قدّمها وهوَ ابنُ خَمسٍ وعشرينَ عامًا، دائمًا تُتاح لكَ في الشباب فُرصٌ لا تُتاحُ لكَ فيمَا بعدهُ.

✓ لا شيءَ اسمهُ «غدًا سأبدأُ»، من قالَ: أنكَ ستعيشُ للغدِ؟ فبادر قبل أن تُغادر!

✓ عندمَا تَعتلي مجلسًا بالكلامِ فما من عيبٍ في ذلكَ، إنَّمَا العيبُ أن تعيشَ في الظلِّ، فلا أحد يعرفكَ لينتفع، ولا لكَ معرفةٌ لينتفع بها أحد.

إنَّ التاريخَ لا يتذكرُ أُولئكَ الذينَ كانت بِضاعتهمُ كلاميَّةً لا أكثر، إنَّما يتذكَّرُ أولئكَ الذينَ أحالُوا كلامهم إلَى واقعٍ تراهُ العين وتلمسهُ اليد، وإلَّا فإنهُ لا شيءَ أسهلَ منَ الكلام.

ولو كانت الأمور بالكلمات، فحتَّى السارق يستطيعُ التعبيرَ عن الأمانة، والزانية تستطيعُ التعبيرَ عن الشرف.

كانَ أبو إسحقُ الشِّيرازِي الفقيهُ الشافعيُّ يُكرِّرُ درسهُ مائةَ مرة، ويُعيدُ القياسَ ألفَ مرة، حتَّى نَحلَ جِسمهُ من عُلوِّ همته، وفيهِ يقول الشاعر:

تَراهُ من الذكاءِ نَحيل جسمٍ عليهِ من توقُّدهِ دليلُ

إذَا كانَ الفتَى ضخمُ المَعالِي فليسَ يَضيرهُ الجسمُ النحيلُ

وكانَ ابنُ سِينَا الملقَّب بـ «الشيخ الرئيس» يكتبُ كلَّ يومٍ كُرَّاسة.

وكانَ الفارابِي بزيِّ جُنديّ، انكبَّ على كُتبِ اليونان حتَّى رسخَ فيهَا.

وماتَ الإمامُ النَّوويُّ في سِنِّ الأربعينَ، لكنهُ تركَ عِلمًا طيِّبًا مُباركٌ فيهِ، وحسبكَ بـ «رياضِ الصالحين» على صَلاحه، وبـ «منهاج المُسلم» على منهج إسلامهِ، فبلغَ من همَّتهِ أنِ اعْتزلَ الزواجَ ليتفرغ للعلمِ دونَ سِواه!

وهذَا ابنُ القيِّم اسْتفادَ منهُ المُؤالفُ والمُخالفُ، وما من أحدٍ قرأ أو سمعَ لابنِ القيِّمِ إلَّا ووجدَ قِيَمًا في كلامهِ لا تُوجدُ في كلامِ من سواه.

ومنهمُ حافظُ الدنيَا في زمانهِ ابنُ حَجْرٍ العسْقلانيّ، صاحبُ كتاب: «فَتحُ البَارِي شرحُ صَحيحِ البُّخارِي» فقدْ دَبَّجهُ في خمسٍ وعشرينَ سنة، ولكَ أن تتصوَّرَ إنسانًا يقضِي رُبعَ قرنٍ يُؤلِّفُ كتابًا، بل قدْ قيلَ: إنَّه صنفَّ المُقدِّمة فقط في سبعِ سنوات!

ومن شاءَ أن يعرفَ هذَا الرجلَ فلينظرْ في الفتح، فلَا هِجرةَ بعدَ الفتح.

ومنهم جلالُ الدِّين السُّيوطيُّ حائزُ قَصَبِ السَّبقِ في التأليفِ والتَّصنيف، وقدْ اعْتزلَ في الأربعينَ من عُمره، ليتركَ للخزانةِ الإسلامية ما يربو عن ستَّةِ مائةِ مُصنِّف.

وقبلهُ عبدُ الرحمنِ بنُ الجوزِيِّ واعظُ الدنيَا، فقدْ أَلَّفَ قُرابةَ ألفِ مُصنَّفٍ.

يا صديق!

لَا تعجَبْ من عَطاءاتهم فبركةُ الوقتِ تجعلُ العطاءَ مُبهرًا! فقد كان الشيخ محمَّد الأمينُ الشَّنقيطيُّ يُلقي الدرسَ ارْتِجالًا فيأتِي بالعجبِ العُجاب، لا يأتي بهِ من يقرأُ منَ الكتابِ.

عاشُوا عُظماءً، فماتوا بأجسادهم وظلَّت سيرتهم حيَّة بيننَا؛ لذلك إذَا أردتَ أن تتركَ ما تركوا، أقبل على ما أقبلوا، لتترك ما تركوا.



22||_ انتهَى زمنُ البُكاءِ على الأطلال

وخير ما يفعله المرء بما ماتَ من أشيائه أن يُكرمها بالدَّفن

فنبش القبور لا يعيد الموتى إلى الحياة!

لقد حطَّمنا أنفسنا كثيرًا فيما مضى، وآن الأوان لنبني أنفسنا من جديد، آن الأوان لأنْ تتصالح جذورنا مع الأرض، وأغصاننا مع الهواء من أجل أن نُثمرَ مرَّة أخرى ثمارًا حُلوة تُنسينا سابقَ ثمارنا المُرَّة.

صحيح قد يُكلِّف البناء ثمنًا لا يُستهان به، لكنه أفضلُ من دفع ثمنِ الهدم، ولندرك بوعيٍ أنَّ الوقت الذي نسعَى فيه لِبناء الجدران، من الأفضل أن نَقضيه لبناء الجسورِ، فنحن بحاجة لصنع علاقة، وليس لإنهاء رابطة، نحنُ بحاجة لغرس غرسة تعيد اخضرارنا من جديد، بدل التعايش مع التَّصحُّر!

من سُنَّة الحياة أنَّ الإنسان لا ريبَ سيُواجه حوائلَ تحول دون تحقيق أهدافه، لكن ينبغي عليه ههنا أن يتريَّث ويُوجِدَ الحل الذي يُسعفه إذا ما تورَّط، وليسَ عليه أن يرميَ المنديل مهما خسرَ وانكسر، فمعاناة الخروج من عنق الزجاجة خيرٌ من الاستسلام عيشًا في داخلها!

لمَّا أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون، سأله أن يُمِدَّه بمَدَدِ أخيه هارون؛ إذْ هذا الأخير أفصحُ منه، واليهود قومُ جدالٍ، والمُجادل حقيقٌ له فصيح يُدحضهُ.. فلمَّا اهتدى سيِّدنا موسى لهذه العقبة الكؤود، سارع لاتخاذ الحلِّ ولم يستسلم للمشكل، فما كان إلَّا أن وجده، وهكذا هي قوانين الحياة: «لن يعدِمَ الحلول من لجأ إليه، ولا خيَّبه النصر من استمدَّ حُلوله منه».

فكان الله تعالى أنْ نجَّى سيِّدنا موسى ومن آمن معه، رغم جبروت فرعون ولَثْغَة سيِّدنا موسى، ففي النهاية إرادة الله تعالى هي من لها الكلمة الفَصْل، ومن كان في صفِّ القوي، حُقَّ له أن ينتصر على الأقوياء.

لا تنظرْ لنفسكَ ضعيفًا والمَدَدُ من الله تعالى يُقَوِّيكَ، ولا تغترَّ بقوتكَ ويدُ الله تعالى تُضعِّفكَ، فإنَّ من أعانه الله تعالى انتصر ولو قلَّتْ حيلته، ومن أعان الله تعالى عليه غيره هُزمَ ولو عظُمَ كيدهُ.

أمَّا في حيِّز العواطف فيجبُ أن تُدرك أنَّ جُملة: «مَا الحبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ» انتهَت صلاحيتها، وما عاد مفعولها سائرًا في القرن الواحد والعشرين؛ إذْ نَسَختْها جُملةُ: «مَا الحبُّ إلَّا للحبيبِ الأفْضلِ».

من كان أفضلَ لكَ هو من يستحقُّ مودَّتكَ، ومن كانَ حجرَ عثرة أمامكَ فخير لكَ أن تزيحه قبل أن يتسبَّبَ في إسقاطكَ.

لا تقلْ: لن يفعلَ لي شيئًا، فتستهين بقوَّتهِ ظنًّا منكَ أنه لا يستحقُّ أن يُنظَر في أمره، فضلًا على أن يُخصَّص له وقت للإزاحة، فإنَّ الذي قتلَ أسدَ الله حمزة هو عبدٌ حبشيٌّ!

جِدْ حلولَ مشاكلكَ ولا تقعد تندبُ حظَّكَ، فمن يبحث يجد، ومن يقعد يفقد.

جِدْ حلولًا لمشاكلكَ قبل أن تَتَحجَّم، فإنَّ المشكلة كالمرض الخبيث تولد صغيرة، ثم سرعان ما تبدأ أعراضها في الانتشار.

لا تترك عنترةَ طموحكَ يبكي الأطلال على عبلةِ أحلامكَ، فإنَّ عَبْلَاتَ الأحلامِ كُثر، لاسيَّما لأولئكَ الذين لا يُقزِّمون طموحاتهم في شخصٍ، أو يبنون حياتهم على مشروع.

حياتكَ أوسع من أن تعيشها في ماضٍ جميل، وما سمِّيَ الماضي ماضٍ إلَّا لأنه مضى وانقضى، فلا تعشْ زمنًا صار جثَّة في زمنٍ ينبض بالحياة.

أعدْ النَّفَسَ لرئتكَ كلَّما اختنقتَ بمثلوِّثات أوكسجينكَ، فالبيئة السيِّئة ليست مكانًا مسلَّطًا عليكَ، وإنَّما أنتَ من بيدهِ أن يعيش فيها، أو يعيش في بيئة أخرى أنقى هواءً، وأصفى أجواءً.

أنتَ من بيدكَ أن تعيش في الأطلال، أو في المدينة الفاضلة، شريطة أن تكون هذه المدينة حقيقيَّة لا على نسج الخيال، وإلَّا فإنَّ قرية على الواقع خير من مدينة فاضلة في الأحلام.



23 || _ الأطفال أيضًا يقرؤون

هذه الشجرة الكبيرة التي تُمِدُّكَ بثمارها
كانت في السابقِ بذرة صغيرة!

من المعيب أن يقتصر الكُتَّاب في كتاباتهم على فئة النُّخبة، مُهملين ذلك النشء الفَتِيَّ، وإن كان الناضج أقدر على الفهم، فإن الطفل أوجبُ للنضج.

ولتفادي الأسباب الَّتي جعلتْ وتجعل الأقلام تنصرفُ إلى الكبار دون الصغار، وتُقزِّم من عَمْلَقَةِ أولادنا حتَّى بات أكثرنا يرى ولده الشاب غلامًا صغيرًا، لَزَمَ مراعاة هذه الجُزئيات:

✓ صحيح أنَّ الكتابة للصغار لا يستطيعها إلا عمالقة الكُتَّاب، لكن بذلُ المحاولة خير من الاستسلام قبل البدء.. وإن الله يفتح من أبواب الخير لمن يسعى، لا يفتحها لأولئك الذين توسَّدوا اليأس.

✓ لا شيء يُمكن أن نتوقَّى به من وحشية الأولاد، مثل كتابٍ يكون بين أيديهم؛ لأن «الكتاب هو الأنيس الصامت الذي يُعلِّم الناس»[6].

6 فادي عبود، معجم الحكم والأمثال، ط 01، كتابنا للنشر، لبنان، 2013، ص: 282.

وللعلم: ليست كل الكتب صالحة للقراءة، ولا غُرَوَّ إن قلنا: بسببِ تفاهةِ بعض الكتب، خسرنا الكَثير من القُرَّاء.

✓ قبل أن تنصح ولدكَ بالمُطالعة، أرشده إلى الكتب الَّتي تُقرِّبه من ربه، ولهذا من الجدير أن نُراعي نوعية الكتاب المقروء، قبل الفرحة بقراءته، فبعض الكتب كما الخمر، إثمها أكبر من نفعها.

✓ إن الإنسان يولد طفلًا، وقد يعيش طول عمره طفلًا حتَّى لو بلغ ثمانين حولًا؛ لأن السِّنَّ ليس معيارًا دقيقًا على أنَّكَ لم تعد طفلًا.

ولا أَمكن على إنضاج الطفل من التحامه بالكتب؛ لذلك علينا أن نُعلِّم أولادنا القراءة، والأهم من ذلك أن نُعلِّمهم حبَّ القراءة؛ لأن طفلكَ نتيجة ما يقرؤه، فاحرص على رعايته الثقافية حرصكَ على رعايته الجسمية.

كما على الآباء أن يُدركوا حقيقة أن الأشياء الَّتي يقرؤها أولادهم قد تكون أرسخ قَدَمًا من تلكَ الأشياء الَّتي يسمعونها منهم.

✓ من الخطأ أن نعتقد أن الكبار وحدهم من يشترون الكتب، والخطأ الأكبر أن تقتصر كتاباتنا عليهم دون غيرهم؛ لأن القراءة رياضة للعقل، فلا أنفع لنُضج الطفل كترغيب القراءة لديه، دون إجباره على ذلك، كون الإنسان يستفيد مما يرغبُ بقراءته، وقلَّ ما يستفيد من قراءة ما يُوجَبُ عليه.

✓ قد يكون الناضج أقرب إلى قراءة الكتب من الآخرين، لكن يجب أن نُدرك أن الآخرين أولى ثم أولى من الناضجين للكتابة لهم.

إن أهمَّ شريحة يجدر الكتابة لها هم الأطفال؛ لأنهم مُعرَّضون للتهلكة أكثر من غيرهم، ولأنهم لا يعرفون الغثَّ من السمين، تراهم مُجبرين على ابتلاع الأفكار دون تمحيصها، ولا أخطر للإنسان من التَّشبُّع بفكرة ظاهرها الرَّحمة وباطنها العذاب.



24||_ حُبُّ الموتِ في سبيلِ الله

الموتُ في سبيل الله.. حياة أخرى!

خرج عُقبة بنُ نَافع في إِحدَى غَزواتِهِ بعشرة آلاف، ليواجه ثمانين ألفًا منَ الرُّوم، فقالت لهُ زَوجته: أَينَ أَجدكَ إِذَا حَمِيَ الوَطيسُ؟ قالَ: بِخيمَة قائدِ الرُّوم أوْ في الجنَّة! من كانَ همُّهُ أن يموتَ في سبيلِ الله تعالى، عَدِمَ الخوفَ منَ المهالكِ كائنًا ما كانت، ومن كانَ همُّهُ أن يُعمَّر في الأرض حسِبَ كلَّ صيحةٍ عليه، فتراهُ يخافُ من ظلِّهِ وما هكذَا يُصنعُ العُظماء.

طلب فقيهٌ من صلاحِ الدِّين ألَّا يُخاطر بِنفسه فِي الغزو فَسألهُ: مَا أشرف الميتات؟! فقال: الموت في سبيل الله. فقال صلاح الدِّين: غاية ما في الباب أنْ أموت أشرف الميتات! القضيَّة محسومة، من أرادَ العَظمةَ اجتثَّ حُبَّ الحياةِ من قلبهِ؛ لأن حُبَّ الحياةِ يُعوِّدُ صاحبهُ على الجُبن، ولَا يكونُ العظيمُ جبانًا.

{ثُمَّ قَضَى أَجَلًا} «الأنعام: 02»: قضية تاريخ موتكَ محسومة قبل أن تولد، فلا تترك الجبن يُثنيك عن درككِ المطالب، ولا تعتقد أن الهروب من الموت يزيدُ من حياتكَ؛ لأن الهروبَ من الموتِ هروبٌ إليه.

_ يسأل الكثير من الناس: لماذا يجبن الإنسان؟

_ لأنه يخاف الموت، لولَا الخَوفُ منَ المَوت، لصَار كلُّ النَّاس شُجعانًا؛ ولذلك كانَ حبُّ الموتِ سمةُ الأنبياء، كونهم يعلمونَ أنَّ أوَّل محطةٍ للقاءِ الله هي الموت، قالَ تعالى علي لِسانِ يُوسُف: {رَبِّ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا} «يوسف: 101» طَلَبَ اللِّقاءَ لأنَّ الدنيا مُوحشة، فلَا تَأنسوا بِالدُّنيا، فَتخشَوْنَ المَوت بعدَها.

ثم اعلم -علَّمك الله- أنَّ أول خُطوة في طريق الجنة، أن يُدركَ المُسلم أن الله تعالى لم يجعل الدنيا هي كلّ حياته؛ لذلك كن جاهزًا للموت حتَّى لا يكونَ موتك بشعًا.

_ أتدري لماذا يعتبر الموت أفظع رحيل يُصيب الإنسان؟

_ لأنه يأتي فجأة من غير أن تتهيأ له بحمل أمتعتك.

اللهمَّ إنَّا نَعوذ بكَ من خَبر الفَجأة وَفَجْعة الخَبر، ونَسألكَ الثَّبات عِندمَا تَزلُّ الأقدامُ، ونَعوذ بكَ منَ التَّراجع عندمَا يلزمُ الإقدام.

اللهمَّ إنَّا نسألكَ حياةً لا نتمنَّى فيهَا المَوت خلَاصًا منَ الحيَاة، بلْ رَغبةً في لِقائكَ.



25||_ أزمات يُعانِي منهَا إنسانُ العَصر

أزماتكَ كثيرة

لو شغلتَ نفسكَ بإصلاحها نفعتَ أمَّتكَ!

01||_ أزمة ثقة:

مُصيبة الإنسان لا تكمن في عدم وجود من يتحدثُ إليه، إنما في عدم وجود من يثقُ به، فأزمتنا أزمة ثقة، لا أزمة إنصاتٍ.

02||_ كفانَا شِعارات:

لا نريد شعار: «ممنوع تدخين السجائر» فحسب، بقدر ما نريد: «ممنوع بيع السجائر»، ولا نُريد منعًا في اللافتاتِ وجوازًا في المبيعات؛ لأن ما يُمنعُ شُربه في الطريق، يجبُ أن يُمنع ترويجه في التَّسويق، وكفانَا شعارات؛ لأنَّنا لا نُريدُ مُنهيات حبيسةَ المُلصقات، بقدرِ ما نُريدهَا أنْ تمسَّ واقعنَا، فما أكثَر الَّذين يمتنعونَ عنِ التَّدخين لكنَّهم يبيعُون السجائر، وما أكثَر الَّذينَ اجتنبُوا شُربَ الخمر لكنَّهم يُتاجرون فيها! وما أكثَر الَّذينَ لا يزنونَ لكنَّهم يملكونَ باراتٍ للزنا.

مُشكلتنَا لا تقتصِرُ على قلَّة النَّواهي، بلْ على تفعيلِهَا على أرضِ الواقع.. مُشكلتنَا لا تقتصرُ على كثرةِ من يرتكبونَ المعاصِي، بقدرِ ما تكمنُ في تشجيعِ الآخرينَ عليهَا.

تقبَّل اللهُ من أحدِ التُجَّار فقدْ كانَ يضعُ لافتةً على بابِ دُكانهِ كُتبَ عليهَا: «لَا نبيعُ السجائر، والرزق على الله». نحتاجُ مثلَ هذهِ العَيِّنات، رجالٌ يَصدقُونَ الله قولًا وعملًا، لا رجالًا يقُولونَ ما لا يفعلون.

وليعلم كلُّ تاجرٍ أنَّ الله تعالى جعلَ للعبد غُنيَةً عنِ الحرام، ولكنَّ النَّفسَ تستعجلُ رزقهَا، ومن تعجَّل في طلب رزقه، حام بحمى الحرام.

03||ـ الإنقاص من الآخرين:

كانت قُريشٌ تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُحسنُ الشِّعر، وإلى ذلكَ لم يبخلوا بقطرةِ عَرَقٍ واحدةٍ في سبيل إلصاق التُّهمة بهِ.. هناك أناسٌ يعلمون براءَتكَ لكنهم لا يتاونون للحظة في اتِّهامكَ، ويُؤوِّلون كلامكَ ثم يُصدِّقونه؛ لأنهم لا يُريدونكَ إلا كاذبًا!

أمثال هؤلاء.. حَسْبِل الله فيهم، وامضِ نحو إنجازاتكَ غير هيَّاب، فلو أنَّ كلَّ كلبٍ نبح فيك أعطيته من وقتكَ لترجمه حجرًا، لضاع وقتكَ في الرَّجم، وضاعت منكَ إنجازاتكَ؛ إذْ هناك أهداف لا تستحقُّ أن ترمي عليها سهامكَ لاقتناصها؛ لأنَّ ذخيرتكَ أهمُّ منها!

04||ـ كثرةُ الشُّكوك:

الشكُّ يُضعِف من قوة الإنسان؛ لذلك يستحيلُ أن تجدَ إنسانًا قويًّا وهُو كثير الشُّكوك؛ لأن القُوَّة بنتُ اليقينِ فقط، يقول مايكل فاراداي: «لَا يُوجدُ شيءٌ مُرعبٌ مثلَ شخصٍ مُتيقِّنٌ أنَّهُ على حقٍّ».

اليقين يجلبُ القُوَّة، والشكوك تجلبُ الضَّعف:

لا تدعِ الشكَّ يبني فيكَ مسكنهُ إنَّ الـحياةَ بسوءِ الظنِّ تنهدمُ



26||_ لا بدّ من التفهُّم لاستمرار العلاقة

العلاقات الناجحة ليست وليدة قلوب عاطفيَّة فحسب أيضًا وليدة عقول فاهمة!

حينما خلق الله تعالى المرأة خلقها بطبيعة مختلفة تمامًا عن طبيعة الرجل، والاختلاف في الخَلق يقتضي الاختلاف في الخُلُق؛ لذلك من الخطأ أن يطلب أحدهما من الآخر أن يكون مثله في كل شيء، ولكن الصواب التَّعَوُّدُ على بعضهما بعضًا.

عندما تُقرر المرأة أن تتحمّل وجعًا ما، تتحمُّله وإن قُطِّع لحمها خَرَادِيلَ خَرَادِيل، بينما قد تُقيم الدنيا ولا تُقعدها عند لَسْعَةِ بعوضة.

وعندمَا تُقرِّر المرأة كتم سرٍّ ما، فإنّ شرطة العالَم بأكملها لن تقدر على خطف كلمةٍ منها، وإذا ما قرَّرت إفشاءهُ تُفشيه وإن حبسوها في سجنٍ انفراديٍّ طول حياتها.

وليسَ هذا الأمر مُقتصرًا عليها فحسب، الرجلُ كذلك إذا أراد استطاع، وإذا رفضَ لم يُرغَم، وكلاهما يُقادُ باللِّين.

الرجل ميّال إلى المنطق أكثر من العاطفة، على خلاف المرأة فعاطفتها أسبق، مع العلم أنّ جمال كليهما في الثَّبات على فطرته،

فمتى غلّب الرجل عاطفته إلَّا تأنَّث، ومتى غلّبت المرأة منطقها إلَّا تذكّرت.

ولا يعتقد الإنسان رجلًا كان أم امرأة أنّ طريق التفاهم بينهما مسدود، فقط لاختلاف طبيعتها، كلَّا، الحلُّ موجودٌ وإن كان الطريق مسدودًا، كيف إن لمْ يكن؟! ومن أمثل هذه الحلول:

تفهُّم طبيعة الاختلاف والتصرُّف وَفق ذلك، ولا يُفهم أنّ وجود اختلاف بين الرَّجل والمرأة، يَصير بالحياة بينهما إلى اللَّامُمكن، بقدر ما على كلاهما تفهُّم طبيعة الآخر.

وَلْيَعْلَمَا أنّ التفهُّم يُضيفُ نَفَسًا في علاقتهما، وما من علاقة تَصَرَّمَتْ حِبالها وهُدَّت جبالها إلَّا كان مَرَدُّ ذلك إلى سوء الفهمِ، فما دخل سوء الفهم بين مُترابطين إلَّا وضع سِكِّينَهُ فوق حبلهما، ومهما اشتدّ حبلُ العلاقة فإنّه لا يصمد أمام سكين سُوء التفاهم.

يُخطئ الكثير من النّاسِ إذْ يعتقدون أنّ الحب وحده يكفي، والحقيقة أنّ الحب وحده لا يكفي كائنًا ما كانت العلاقة. يمكن تشبيه الحب في العلاقة بالملح، إنَّه يُعطي الطّبخة نُكهة خاصّة لكنه لا يكفي وحده لإعدادها.

ومهما بلغ الحبُّ في كِبَرِهِ، فهو على المحكِّ ما لم يتمَّ إزالة الاختلاف بين الطرفين، أو بلغة أصدق: التركيز على نقاط التوافق

وتهميش نقاط الاختلاف؛ لأنّ الاختلاف مثل المرض المزمن عادةً يُمكن التعايش معه بالعلاج لكن لا يُمكن إزالتهُ بالكُليَّة.

ويُخطئ الكثير من الناسِ إذْ يعتقدون أنّ الحبَّ لا يموت، والعجيب في الأمر أنهم يؤمنون بولادتهِ، وكيفَ لا يموتُ ما يُولَدُ؟ الحبُّ مثل الإنسان، يولد ويموت، يَشِبُّ ويشيخُ، يصحُّ ويَمرضُ، يُقبر بالنسيان، ويُزار بالتذكُّر.

الحبُّ مثل النَّبتة، ينمو بالاهتمام ويذبُل بالإهمال.. ولأنَّ ميلاد الحب ضرورة فبقاؤه أشد ضرورة من ميلاده، وهنا حريٌّ بكل عاقل أن يعقل هذه الجملة متى عرفَ إنسانًا فكوَّن معه علاقة محبَّة: «القلوب العاطفيَّة تصنع حبًّا كبيرًا، أمَّا العقول الناضجة فتعمل على إنجاح استمراريته».



27 || _ كيف يُمكننا أن نحلَّ مشاكل العالَم الإسلامي؟

بينما أنتَ تلهو، هناكَ من يُحارب الإسلام
أنتَ مسلم إذن أنتَ مسؤول!

طبعًا ستختلف وُجهات النظر باختلاف الناظرين، فالطبيب يُدْلي بحلول طبيّة، والفقيه يُدلي بحلول فقهية، والمقتصد يُدلي بحلول اقتصاديّة، وهكذا دَوَالَيْكَ..

حتَّى الآن لا حرج، الحرج ليس في إدلاء الآراء المختلفة، بل في فرض آرائنا على أنّها مُسَلَّمات غير قابلة للنقاش، وإقْصاء الآراء الأخرى بحُجَّة انحرافها عن الصواب، فحينما يرى الطبيب فينا أنّ حُلوله الطبيّة فوق النقد ولا بديل عنها، من الأكيد أن ينتفضَ له غيره بالنقد والتجريح، وهكذا ندخل في مُشكلة أخرى، وعليه: ينبغي على حُلولنا للمشاكل ألَّا تكون ولَّادةً لمشاكل أخرى.

كما علينا حينما نعرض الحلول أن نعرضها بعَرْضٍ مُتواضع، وبطريقة توحي للطرف الآخر أنّها مجرّد فَرَضيات قابلة للرد مثلما قد تكون قابلة للأخذ، ذلك أنَّ الأمور الَّتي أدخلتنا إلى هذه المضَايِقِ الفكريّة ما هيَ إلَّا حصادُ ترفُّعنا المعرفي، فيخالُ كلّ مُقَدِّمٍ لحلوله أن لا حُلول أصوب من حلوله، ولا آراء أقربَ للصواب من آرائهِ.

ومثلُ هذا التفكير الذي جعل صاحبه يستحوذُ على الصواب لنفسه في حَدِّ ذاته مُشكلة ينبغي مُعالجتها، فالصوابُ ليسَ متاعًا للتمَلُّك.

قال تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} «الأنبياء: 79»، فالفهم الذي رُزِقَهُ سيدنا سليمان لحلِّ المشكلة، لا يقتضي منه ضرورة أنَّ فهمَ سيِّدنا داود كان خاطئًا، بقدر ما يعني أنَّ فهم سيِّدنا سليمان وتوصيف الحل كان مطابقًا أتمَّ المطابقة للمشكلة، بدليل قوله تعالى: {وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} «الأنبياء: 79».

ومنه: إذا رزقكَ الله فهم سيِّدنا سليمان، لا تُخَطِّئ من رزقه الله تعالى فهمَ سيِّدنا داود، فلكلِّ علم، ولكلِّ طريقة في توظيفه!

كما على المسلم اليوم أن يُدرك بوعيٍ أنَّ مُشكلات العالَم الإسلامي تُحَلُّ بجهود مُتَضَافِرَةٍ، لا بجُهود مُتناحِرة، وأن يُنظَرَ للمشكلة من زواياها الأربعة، لئلَّا يَنجم خللٌ في النتائج، أو نَقْصٌ في الحُلول.

ولندرك بيقين أنَّ الإسلامَ مِلكٌ للجميع، ولا حقَّ لأحدٍ في اسْتئثاره لنفسه وإقصائه عن غيره، وكما يحرص الفقيه على إسلاميَّة الحُلول عليه أن يرى مثل هذا الحرصِ في غيرِهِ، ولا يُوَظِّف نفسه وَصِيًّا على الإسلام، فحُلول مُشكلات العالَم الإسلامي لا تكون من

جانبٍ دون الجوانب الأخرى؛ لأن رجعيتنا اليوم ليست وليدة التَّأخُّر الفقهي فقط! وإنّما وليدة تأخُّرات تَمُسُّ جميع التخصُّصات، كالطبِّ، والهندسة، والتعليم، والتكنولوجيا، والصيدلة.. وما برحَت مُشكلاتنا قد مَسَّت جميع التخصُّصات، فمن الحَيْفِ إيجاد حُلولها عند الفقيه دونما سواه، فعلاج السرطان لا يكون على يديْ الفقيه، وفقه النَّوازل لا يُفتي فيه الفلاسفة، وهندسة العُمران لا تُصَمَّمُ على أيدي الأطبَّاء..

وآية: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} «النحل: 43»، لا يُعْنى بها رجال الدِّين فقط، وإنّما يُعنى بها أهل التَّخصُّص على اخْتلاف مشاربهم؛ إذْ هم أدرى بمُشكلات تخصُّصاتهم، والدَّاري بالمشكل هو المعنيُّ بإيجاد حُلوله.

وأنا على ثقة لا يخالجها شكٌّ لو أنّنا وسَّعنا مُدركاتنا المعرفيّة، وتقبَّلنا آراء بعضنا بعضًا دون المساس بالأشخاص ذواتهم، لتجاوزنَا أكبر أشواط الحضارة، أمَّا إن كان لابدَّ مِن رفضِ الأفكار، فليكن بنقدِ الأفكار لا بتجريح المفكِّرين.

على المسلم اليوم أن يُدرك أنّ الحضارة تقتاتُ من أفكار مُفَكِّريها، وتتغذَّى مِن رؤاهم، وعندما نعترف أنَّ مصدر تغذية الحضارة إنَّما يرجع للفكرة، حقيقٌ بنا أن نوليها جُلَّ اهتمامنا إن لمْ يكن كُلَّهُ.

كما علينا أن لا نسفِّه آراء المخالفين، فإن ذلك من شأنه أن يدخلنا في معارك جانبيَّة، وربَّما ضاعت منَّا المعركة الحقيقيَّة!



28 || _ أنتَ مستور، ولستَ خِلْوًا مِن الذنوب!

لا توجد شجرة يمكنها أن تُثمر بلا أوراق تستر أغصانها
إذا تعرَّيتَ فأنتَ تنفي النضج منكَ!

كثيرًا ما نُبتلى بمخلوقات غارقةٍ في الفُضول، يعنيها أن تعرف كلَّ شيْءٍ حتَّى لو لمْ يكن يعنيها، في الحقيقة هذا النوعُ من المخلوقات مُخيفٌ جدًّا! مُخيفٌ لدرجة أنَّكَ لوْ اسْتطعتَ أن تضعَ مسافة غُموضٍ بينكَ وبينه ولمْ تفعلْ لاعْتُبرتَ مُقصِّرًا في تأمينِ خُصوصياتكَ.

هُناكَ أشياء يجبُ أن تظلَّ في صُندوقكَ الأسْود، ولا يليقُ بكَ وأنتَ العاقلُ أن تُذيعها للعامَّة؛ إذْ حياتكَ الشخصيّة يجبُ أن لا تُنشر على حِبالِ الآخرين، بل يجبُ أن تُغَلِّفها بغلافٍ من الكَتْمِ، لئلَّا يحدثَ بها ثُقْبُ التعدِّي، فيجتَرئَ عليك الصغير قبل الكبير.

عندما تُهاتف أحدهم لأمرٍ ما، فليس من الضَّروري أن تذكر اسمه لاسيَّما حينما تكون مُحاطًا بالناس، لا تذكرْ اسمهُ وإن ظهر لكَ أنَّ الذي معكَ مشغولٌ غير منتبهٍ لكَ، بعضُ الناس يُشغَلُون بمظاهرهم وثلاثةُ أرباع حاسَّة السمع مع حديثكَ.

عندما تتسوَّق حاول قدر الإمكان أن تتجنّب كثرة الأكياس، وتجنَّب معها كشف حوائجكَ، إنّ النفس حينما تشتهي شيْئًا ولا تصلُ إليه، تتحرَّكُ فيها غريزة الحسد، ومن الحسد ما قتلْ!

كثيرًا ما قرأنا أنّ «الحسدَ قاتلُ صاحبِهِ»، وأنّ الحسد هو من طرد إبليس من رحمة اللّه تعالى.

وهو من جَرَّأ قابيل على أخيهِ هابيل فقتلهُ.

وهو من سوَّل لإخوة يوسفُ إلقاءهُ في غَيَابَةِ الجُبِّ.

ومن هنا لا يجدر بكَ إلَّا أن تُؤَمِّنَ نفسكَ بالستر، فالتأمين أولى من الضمان، وتفادي الخطأ خير من الرجوع عنه بعد ارتكابه! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن أتى الغائطَ فلْيستتِرْ وإن لم يجِدْ إلَّا كثيبًا مِن رملٍ، فإنَّ الشَّيطانَ يلعَبُ بمقاعدِ بني آدَمَ).

عندمَا تكونُ في البيتِ بمُفردكَ لا تتعرَّى عَراءً يكشفُ عن عورتكَ، ولا تخلعْ ثوبَ الستر عن نفسكَ بحُجَّة أنَّ لا أحدَ معكَ: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} «الحديد: 04». فاللّه تعالى أحقُّ بالستر من غيرهِ: {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ} «التوبة: 13»، وعشْ بمنطق: «إذا لمْ يَرَكَ عُمَر، فرَبُّ عُمَرٍ يراكَ».

جاءَ في الأثر أنَّ موسى عليه السَّلام لمَّا نزلَ ببني إسرائيل القحط والجدب، حثَّهم على التوبة والاستغفار، ثُمَّ خرجَ بهم إلى صلاة الاستسقاء، وطلبَ منهم أن لا يُصلي معه إلا تائب! فصلَّى ببني إسرائيل فلم ينزل المطر، فسأل موسى عليه السَّلام ربَّ العِزَّة عن ذلك، فأوحى الله سُبحانه إليه أنَّ بينكم رجلًا عاصيًا لم يتُب بعد!

فطلبَ موسى من بني إسرائيل أن يخرجَ من بينهم هذا العاصي كي لا يُحرموا المطر بسببه! وما هي إلا لحظاتٍ حتى انهمرَ المطرُ رغمَ أنه لم يخرج من بني إسرائيل أحد! فسأل موسى عن سبب المطر رغم بقاء العاصي بينهم، فأوحى الله سُبحانه إليه أنَّ العبدَ قد تابَ بينه وبين ربه! فسأله موسى عن اسمه، فقال له الله تعالى: يا موسى سترته عاصيًا، أأفضحه تائبًا!

إذا عَصيتهُ فلا تُجاهرْ بمعصيتكَ، إنّ للعبدِ ذنوبًا تُغفر لأجلِ سترِ نفسه، (كلُّ أمَّتي مُعافًى إلَّا المجاهِرينَ).

وليكن لباسكَ مُحتشمًا، لا مُجرَّدَ لباسٍ يحجبُ أعين المارَّة عن رؤيةِ عورتكَ، بينما يكشفُ تقاسيمها؛ لأن تقاسيم الجسد شكلٌ من أشكال العُري، واللهُ سِتِّير يُحبُّ الستر.

تفنَّن في ستر نفسكَ، وسيُغدقكَ اللّهُ تعالى بفيضٍ من سِترهِ، أمّا عيوبكَ فتُستر وأمّا ذنوبكَ فتُغفر، وأيقن أنّ الستر كما يكونُ في الأجساد يكونُ في الأرواح، وعلى قدر سترِكَ تكون جميلًا.

إذا تكلّمتَ فليكن صوتكَ خفيضًا، وإذا مشيتَ فليكن مشيكَ بالهُوَيْنَى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} «لقمان: 19».

والسترُ لا يقتصرُ على نفسكَ فحسب، بلْ يتعدَّاهُ إلى غيركَ من الناس، فكما تُحبُّ ألَّا تُهتكَ أستاركَ لا تهتكْ أستار الآخرين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسَّر على مُعْسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يَتْلُونَ كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ حفَّتهم الملائكة، ونزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لـمْ يُسرع به نسبه).

ما أكرم الله! جزاكَ بستر أخيكِ في دارٍ واحدة، بالسترِ في دارين، ومع ذلكَ تُفَرِّطْ.

إذا سمعتَ إشاعةً عن عاصٍ فاسعَى لقبضِ روحها عندكَ، ولا تُوظِّف نفسكَ وساطة بين السمع والنقل، فقدْ يغفرُ اللّه للعصاة معصيتهم، ولا يغفرُ للَّذين سَعوْا في توزيعها.

{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنيَا وَالْآخِرَةِ} «النور: 19»: لا تتركْ فاحشةَ المؤمنِ تُنسيكَ في إيمانهِ، فقد يُغفَر لفاحشتهِ بإيمانهِ، ولا يُغفر لمن شَيَّعوها.

ولا يكن عملكَ بينَ النّاس عمل القنواتِ الفضائحِيِّة بين الإعلام، تنقلُ ليُثنى على تفرُّدكَ بالنقل، ولا تُراعي جودة المنقول، إنّ اللّه سَبَلَ سترهُ على الناسِ فلم يفضحهم على أعينِ الأشهاد، رغم أنَّهم عَصوهُ برغم نهيهِم عن عصيانه.

فمالكَ تفضحهم وأنتَ الّذي لا ناقةَ لكَ ولا جَمل في معاصيهم؟ كانَ مُرتكبُ الفاحشة يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقِرُّ بها ليُقيم عليهِ الحدّ، وإلى ذلكَ كان يردُّه مرةً وثانيةً وثالثةً.. عساهُ يسترُ نفسهُ.

عندما زنى ماعِزٌ رضيَ الله عنه، مرَّ بصديقٍ له اسمه هُزال الأسلمي وحدَّثه بما كان منه، ولكن هُزالًا لم يعِظْه، ولم يحُثَّه على التوبة، بل أشار إليه أن ينطلق إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فيُخبره بالأمر! فأتى ماعِزٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم واعترفَ عنده بالزنا، فأمر عليه السَّلام برجمه، لأنَّ الأمر إذا وصلَ إلى الإمام سقطَ العفو، ولا بُدَّ من إقامةِ الحَدِّ! ثم إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لقِيَ هُزالًا الأسلمي بعد ذلك فقال له: (لو سترْتَه بثوبك كان خيرًا لك)!

علَّق أدهم شرقاوي على ذلك فقال: «نعم وَضَعَ الإسلامُ حدودًا، وما من نظامٍ بشريٍّ قامَ يومًا إلا وفيه منظومة عقوبات تختلف من مجتمع إلى آخر، ولكن الإسلام العظيم حثَّ على التوبة والسِّتر عند ارتكاب المعاصي، فما دام الله سترَ على الإنسان فالأوْلى أن لا يذهب

العاصي إلى الإمام ويطلبَ تنفيذ العقوبة! ولخَّص ابن تيمية هذا كله في جُملةٍ واحدةٍ حين قال: "والأصلُ في الذنوبِ التوبة والاستغفار لا إقامة الحدود". السِّترُ مبدأٌ من مبادئ الشريعة، كلُّ مُسلم مُطالب أن يسترَ على نفسه وعلى غيره، والنفسُ البشرية مفطورة على سترِ نفسها وفضحِ غيرها!

من تتبَّعَ عورات الناس تتبَّعَ الله عورته، ومن ستر غيره ستره الله، لأن الجزاء من جنس العمل! كلنا مطرَّزون بالعُيوب ولولا رداء من السِّتر وضعه الله علينا لانفضحنا وما نظر إلينا الناس نظرة احترام أبداً!

وأجمل خُلُقٍ يعمل به العبد هو أن ينظُرَ إلى الخُلقِ الذي يُعامِل به الرَّبُّ سبحانه عباده، فيعاملهم مثله، وأن الله سِتير يُحبُّ السِّتر! كل ذنبٍ لإنسانٍ سمعتَ عنه دعه يقف عندكَ، أنتَ أيضـًا لك ذنوب وللناس ألْسُن، فاشترِ سِتركَ بسِتر الناس».

وكانت المرأة فيما سبق تستر نفسها خوفًا من فتنة الرجال في دِينهم، لا خوفًا فقط على نفسها منهم.

هناك مغالطة يقع فيها الكثير من النَّاس؛ الجرأة لا تعني الصراحة، والسِّتر لا يعني الكذب، قال تعالى: {لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ} «النساء: 148».

جاءت امرأة للسيِّدة عائشة رضي الله عنها فأخبرتها أنَّ رجلًا قد أخذ بساقها وهي مُحْرِمة «أي حاول كشف عورتها» فقاطعتها أمُّنا عائشة، وأعرضت بوجهها وقالت: «يا نساءَ المؤمنين، إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنبًا، فلا تخبرن به النَّاس، ولتستغفر الله، ولتتب إليه؛ فإنَّ العباد يُعيِّرونَ ولا يُغيِّرون، والله يُغَيِّر ولا يُعيِّر».



29 ||_ كيف أعيشُ السنةَ الجديدة عِيشةً راضيةً مَرضيَّة؟

السعادة تخطيط سابق

وليست خَبْطَ عَشْوَاء!

✓ عِشْ دِينكَ في دُنياك، ولَا تعشْ دُنياكَ في دينك.

مثلًا: أرسلْ لكلِّ شخصٍ لديكَ خمسَ رسائلٍ نافعةً يوميًّا، وحبَّذا لو يكونُ التوقيت بعدَ كلِّ صلاةٍ مكتوبة، لا يهمُّ أن يكونَ الشخصُ نفسه، المهمُّ أن يكونَ المشروعُ مُستمرًا.

✓ خطِّط ليومِ الغدِ في ورقةٍ بيضاءٍ، ومُرَّ على كلِّ خَطوةٍ في توقيتٍ مُناسب، زُر رحمًا في كلِّ يومِ جُمعة، تصدَّق عن عائلتكَ كلَّ أسبوعٍ، تسوَّق لأجلِ بيتكَ كلَّ خميسٍ، أعدْ ترتيبَ خزانة ملابسكَ وتصدَّق بكلِّ ثوبٍ لا تحتاجهُ، ضيِّف فقيرًا، أسْهِم في تزويج مُحتاجٍ، أرسلْ رسائلًا لرئيسَ بلديَّتكَ وأنبئهُ ببعْض مشاكلِ بلدتك، عالجْ قضايَا قريتكَ صوتًا وصورة، خصِّص قُصاصاتٍ يومَ الجمعة وأرسلها لإمام مسجدكَ ليعرضهَا أمام العامَّة..

لَا تظن أنَّك غيرُ مسؤول، من سمعَ أو رأى فهوُ مسؤول وإن كانَ رعيَّةً، مُشكلةُ كثيرٍ منَ النَّاسِ أنَّهم يعتقدونَ أنَّ وجُودهم رعيَّة يجعلُ

منهم مَسؤولين عنهم غير مسؤولين عن سواهم، كلَّا.. الرئيسُ وإن كانَ مسؤولًا، لكنَّه ليسَ المسؤول الوحيد.

✓ لَا تجعَل السنة الَّتي مَضت تُشبهُ السنة الَّتي أنتَ مُقبلٌ إليها، غيِّر من نفسك، ولَا تعشْ بنفسِ الذهنيَّة وقدْ اختلفَ سنُّكَ، كن أنضجَ من أن يكونَ كبركَ في الحجمِ دونَ العقل.

وبما أنَّكَ لستَ مُراهقًا في سنِّكَ، احرصْ ألَّا تكونَ تصرُّفاتكَ تصرفاتَ مُراهقٍ؛ لأن تصرَّفات الإنسانِ هيَ ما تُحدِّدُ سنَّهُ، أمَّا السنُّ المُعتاد فهوُ لا يزيدُ عن كونهِ أرقامًا تزيدُ بتوالي السنين، وما أكبرَ الذين تكبرُ أعمارهُم وتصغرُ عُقولهم، وتضخُم فرائِسهم وتتقزَّم نُفوسهم، ومن هذَا حالهُم فكِبَرهُم صِغرٌ!

✓ غيِّر فكرةَ إعطاءِ حُلولٍ لا تُناسبُ المشاكل، فوجودُ المفتاح لا يعني بالضرورة أنَّ القفلَ سيُفتح، هُناك مشاكل إن أشعَلها الصِّغارُ فينبغِي أن يُطفئها الكبار.

وهُناك مشاكلٌ لا يُلامُ مُرتكبوهَا دائِمًا، بلْ ينبغي أن تناقشَ مشاكلهم معَ من يخشَونهم، أو معَ من تسبَّبوا في إثارتها؛ لذلكَ لا تلُم المِسمار دائِمًا، ولكن أحيانًا ينبغي أن تتحدّث معَ المِطرقة.

✓ حينمَا نسعَى للتغيير، علينَا ألَّا نُفكر بأنَّ الوقتَ قدْ فات، بلْ علينَا دائِما أن نستمسكَ بفكرةِ أنَّ الوقت مُتاح ما برحَت الحياةُ تُعطينَا فُرصةَ العيش.

وكلُّ يومٍ تعيشهُ هُو فُرصةٌ أخرى للتغيير، أمَّا من وافتهُ المنيَّة فلَا فُرصةَ لهُ، إن عملَ خيرًا جُوزيَ خيرًا، وإن عملَ شرًّا جُوزيَ بجنس ما عمل.

✓ علينَا وَأْدُ الأفكار السَّوداويَّة، هذهِ الحياةُ مبنيَّة على قوانينَ إلهيَّة، وليست عشوائيَّة الأقدار، قد تنجح بعد دخول السّجن، وقدْ تُصبحُ غنيًّا بعدَ يُتمكَ، وقدْ تتزوجُ بعدَ قلَّة ذاتِ يدكَ، النجاح قد يأتي في سنٍّ متأخرة، التلميذ قد يُصَحِّحُ لأُستاذه، برُّ الآباء يكونُ بالإحسانِ إليهم وإن أساؤوا، لا بمُجرَّدَ طاعتِهم فحسب.

✓ النجاح ليسَ ضربة حظٍّ، وإنَّمَا مجهودٌ مبذولٌ، فالسماءُ لا تُمطرُ حُظوظًا، ولكنَّ من أهلِ الأرضِ من يُصدِّقُ أنَّها تفعل ذلك، وما أطولَ جفافَ من يُصدِّقُ أنَّ الأرضَ تُمطرُ فضّةً!



30 || _ هل أدخلتَ نفسكَ الجنة؟

وجودكَ في الحياة من أجل أن تكون نِعْمَ الخليفة في الأرض
فإذا لم تكن خليفةً في المستوى
فلا تكن خليفة تحت المستوى!

بعيدًا عن توجّهه العَقَدي، أعجبتني مقولة للشِّيعي الإيراني علي شَريعتي: «خيرٌ لكَ أن تقضيَ وقتكَ بالسعي لإدخال نفسكَ الجنّة، على السعيِ في إثباتِ أنّ غيركَ سيدخلُ النّار». علّمتني هذه المقولة الَّتي لم أتجاوز عشر ثوانٍ لكتابتها، ما لم تُعلّمني إياهُ مدرسة أنفقتُ عشرين سنةٍ بينَ جُدرانها، ولا عجب فأقوالنا ما هيَ إلَّا عُصارةُ ما نعيشهُ.

أنا من ذلكَ الصنف الّذي يقرأ عن الكاتب قبل أن يقرأ كتابه، وعلي شريعتي كان واحدًا منهم، فتشيُّعه كان نُصبَ عقلي؛ لذلك كنتُ أقرأ له بحذر؛ لأنّي على دراية أنّ المطالعة لمفكّر شيعيٍّ، أشبهُ بالمشي فوق حقلِ ألغامٍ، إنّك لا تدرِي الموضع الّذي قد يُودي بحياتكَ العَقَدية إلى الموت.

لكن والفضل لا يُنكَر كان علي شريعتي هو أوّل شخصٍ علّمني كيفَ أُشغل نفسي بإدخالها إلى الجنّة، بعيدًا عمّن يدخل النار، فليس

الإنجاز أن أُصنّف أهل الجنّة وأهل جهنّم، بل الإنجازُ أن أحجز لي مقعدًا في الجنّة، وأنجو من جهنّم -أعاذنا اللّه منها-.

شكرًا شريعتي.. منكَ تعلّمتُ أنّ الجنّة تتّسع للجميع، وأنّ الصواب يقتضي أن نعمل على الفوز بها والنجاة من النار، بدل تصنيف الآخرين أيُّ الدّارين يدخلون؟ فلن ينفعني أن يدخل الجميع إلى نار جهنّم، إن كنتُ واحدًا منهم، ولن يضرّني أن يدخل الجميع جنّة اللّه، ما برحتُ أحدَ داخليها، فالجنّة أوسع من أن تضيق بالبشر.

شكرًا شريعتي.. منكَ تعلّمتُ أن وظيفتي هي السعيُ لإدخال نفسي الجنّة، والعمل على أن أكون سببًا في جعل الآخرين يدخلونها؛ لأن إصلاح المصباح أصعب من لعن الظلام، والأقوياء يركزون على أهدافهم لتحقيقها، ولا يجعلون تصنيف الآخرين شغلهم الشاغل.

أمَّا الضعفاء فهم أولئكَ الذين ظنُّوا الإسلام ملكًا لهم، والجنة دارهم وحدهم، ألَا ساءَ ما يظنُّون!



الحمد للّه

تَمَّ بـبركة اللّه تعالى وتوفيقه

دُعاءُ مِسك الختام

اللهم إنا نعوذُ بكَ من رؤية الحق دونَ اتباعه، ونعوذُ بكَ من اتِّباع الباطل بعدَ رؤيته.

اللهمَّ املأ قُلوبنا بيقين إجابتك.. واجعلنا من الذين رضيَ عنهم المشايخ، ووفِّقنا لأخذ العلم النافع والحكمة الفاضلة منهم، واجعلنا خيرَ التلاميذ لخير المشايخ، وارزقنا في قليل الوقت كثير الإفادة.

اللهمَّ حبِّب إلينا وعلِّمنا العربية الَّتي إذا نطقنا بها أفدنا السامعين، وكتبتَ لنا بها الأجر عند ملائكتكَ المُقربين.

اللهمَّ قرِّب إلينا من يُحسنُ الظن بنا، وأبعد علينا من يُسيءَ الظن بنا، حتَّى نكونَ سببًا في حُصول الحسنات للآخرين ولا نكون سببًا في حُصولهم على السيِّئات.

اللهم أعنا على ذِكركَ حتَّى لا نُعاقبَ جرَّاء نسيانكَ بنسيانكَ لنا وأنتَ القائل وقولكَ حقٌّ: {نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ} «التوبة: 67».

اللهمَّ إنكَ الحافظُ فاحفظنا من كلِّ شيطان أراد بنا شرًّا، فإنك تعرفُ شياطينَ الإنس والجنِّ ولا نعرفهم، وتَحفظُنا منهم ولا نملكُ أن نحفظَ أنفسنا منهم.



|| فهرس الكتاب

|| _ الإهداء 03

|| _ محاولة الدخول في قلب الموضوع 05

01|| _ امرأة غير قابلة للانكسار 07

02|| _ قلبي لا يُمطر تضحية..... 09

03|| _ افهمني قبل أن تختنق علاقتنا..... 11

04|| _ واجه أخطاءَك 19

05|| _ أخطاء أسرية قاتلة 23

06|| _ معوقات النجاح 27

07|| _ ليس بصياح الديك يسقط المطر 37

08|| _ سكان القمم..... 39

09|| _ عشرة وسائل لبناء شخصية قوية..... 41

10|| _ اجتناب مواقع المعاصي 47

11|| _ علمتني قصة يوسف..... 49

12|| _ لأجل بيوت بلا أصوات 57
13|| _ أخطاء أثناء حواراتنا 61
14|| _ النجاح بالتدريج وليس دفعة واحدة..... 65
15|| _ إلى كل امرأة لم تتزوج بعد 71
16|| _ المبالغة في التصديق..... 77
17|| _ فقه الأولويات..... 79
18|| _ لا لتحجيم الذنوب..... 81
19|| _ آداب التعامل مع الفيسبوك 85
20|| _ نظِّم وقتكَ..... 89
21|| _ ضع بصمتك..... 93
22|| _ انتهى زمن البكاء على الأطلال 97
23|| _ الأطفال أيضًا يقرؤون..... 101
24|| _ حب الموت في سبيل الله..... 105
25|| _ أزمات يعاني منها إنسان العصر..... 107
26|| _ لابد من التفهم لاستمرار العلاقة..... 111
27|| _ كيف يمكننا أن تحل مشاكل العالَم الإسلامي؟ 115
28|| _ أنت مستور، ولست خلوًا من الذنوب 119

29|| _ كيف أعيش السنة الجديدة عيشة راضة مرضية؟.... 127

30|| _ هل أدخلتَ نفسك الجنة؟..... 131

|| _ دعاء مسك الختام 133

|| _ الفهرس 135

❁❁❁

للتواصل مع الكاتب:

الهاتف: 06,65,02,34,05

الواتساب: 06,65,02,34,05

الإيميل: medkhamfouci1993@gmail.com

الأنستغرام: anstgrmedkhamfouci

الفيس بوك: https://www.facebook.com/medkhamfouci1993